دكتور أحمد عبد الكريم سليمان
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية التربية بالفيوم
(جامعة القاهرة)

المغول والمماليك

حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس

٦٤٨هـ ـ ٦٧٦هـ / ١٢٥٠ م ـ ١٢٧٧ م

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م

دار النهضة العربية
للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الصفحة

الفصـل الثـالث

المغول والمماليك فى عهد الظاهر بيبرس ٧١ —١٠٠

مقدمة

يحتل العصر المملوكي مكانة بارزة في تاريخ مصر والعالم الاسلامي بأسره ، فقد قادت مصر في ذلك العصر نضالا شاقا ضد خطرين داهمين استهدفا الأمة الاسلامية والعربية • وكان الخطر الأول هو الكيانات الصليبية التي زرعها الغرب المسيحي في بلاد الشام على أثر نجاحه في حملته الصليبية الأولى ضد الشرق الاسلامي • وتمثل الخطر الثاني في المغول الذين زحفوا من أقاصي الشرق في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كالعاصفة الهوجاء التي اقتلعت من أمامها كل العقبات، فلم تثبت أمام المغول قوة ، ولم تعق تقدمهم دولة من الدول ، بل سحقوا كل من قاومهم حتى كانت هزيمتهم الأولى على يد المماليك في عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م ، فتغير بذلك مجرى التاريخ للعالم الاسلامي بأسره •

أما الخطر الصليبي فقد نجح سلاطين المماليك في تصفية ما تبقى من كيانات صليبية في بلاد الشام ، فاستولى الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ — ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ — ١٢٧٧ م) على كثير من حصون الصليبيين ، ثم توج جهاده بالاستيلاء على امارة انطاكية الصليبية سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨ م • كما استولى السلطان قلاوون (٦٧٨هـ — ٦٨٩هـ / ١٢٧٩م — ١٢٩٠ م) على امارة طرابلس سنة ٦٨٨ هـ/١٢٨٩ م ، ثم أتم ابنه الأشرف خليل (٦٨٩هـ — ٦٩٣هـ/١٢٩٠ م — ١٢٩٣ م) باستيلائه على عكا سنة ٦٩١هـ /١٢٩١م القضاء نهائيا على كل وجود صليبي في بلاد الشام ، وبذلك حظى المماليك بشرف خاتمة الجهاد ضد الخطر الصليبي في بلاد الشام الذي استمر قرابة قرنين من الزمان •

أما المغول فكانوا قد تمكنوا من اجتياح العالم الاسلامى على مرحلتين : الأولى فى عهد جنكيزخان الذى أسس امبراطورية المغول وسعى الى السيطرة على العالم بأسره ، ومن ثم كانت هجماته على البلاد الاسلامية جزءا من استراتيجيته • وقد تمكن جنكيزخان من القضاء على الدولة الخوارزمية الاسلامية التى كانت تحكم مناطق ما وراء النهر وخوارزم وأجزاء من خراسان وغرب ايران • وهذه الدولة رغم اتساعها وعظم امكانياتها كان يسودها التفكك والانحلال بسبب السياسة الخرقاء التى اتبعها السلطان محمد خوارزم شاه ، ثم ابنه جلال الدين منكبرتى من بعده ، وبذلك سهل على جنكيزخان القضاء على هذه الدولة •

وكانت المرحلة الثانية من الغزو المغولى للعالم الاسلامى على يد هولاكو حفيد جنكيزخان ، وقد استولى هولاكو على ايران والعراق ، وأسقط الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، ثم اجتاح بلاد الشام واستولى على مدنه الرئيسية مثل حلب ودمشق ، وتقدمت قوات المغول حتى حدود مصر الشرقية عند غزة ، الا أن المماليك بقيادة قطز والأمير بيبرس البندقدار ألحقوا هزيمة ساحقة بالمغول عند عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م ، ومن ثم توقف الزحف المغولى على مصر وشمال أفريقيا ، وأصبحت مصر فى عصر المماليك هى الحصن المنيع الذى تحطمت على صخوره جحافل أكبر قوة عاتية وغاشمة عرفها التاريخ •

واذا كان انتصار المماليك فى عين جالوت قد أوقف اندفاع المغول فى العالم الاسلامى ؛ فان خطر عودة هؤلاء المغول ظل قائما لفترة طويلة، وبوجه خاص بعد تأسيس دولة مغول فارس الوثنية على يد هولاكو وأبنائه ، ومن ثم أصبح مواجهة ذلك الخطر المتجدد هو الشغل الشاغل لسلاطين المماليك والركيزة الأساسية فى سياستهم الخارجية • وهكذا قاد الظاهر بيبرس الذى خلف قطز فى حكم مصر والشام ووضع اركان الدولة المملوكية الأولى ، قاد نضالا شاقا ضد دولة مغول فارس مستخدما فى ذلك كل الوسائل المتاحة لديه عسكرية وسياسية ، وقد نجح الظاهر بيبرس فى ذلك نجاحا كبيرا ، فألحق هزائم عديدة بمغول فارس ؛ وتحالف

مع خانات مغول القفجاق المسلمين وحثهم على معاداة هولاكو وأبنائه ،
كما عقد بيبرس معاهدات مع الدول الأوربية من أجل احكام الحصار على مغول فارس وتحجيم دورهم • ثم واصل خلفاء بيبرس من أسرة بني قلاوون نفس السياسة حيث لم يتوقف ايلخانات فارس حتى بعد اسلامهم عن معاداة مصر وسلاطينها • وهكذا ظلت العلاقات بين الجانبين عدائية الطابع حتى تم الصلح بين أبى سعيد ايلخان فارس والناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠هـ/١٣٢١م فتوقف الخطر المغولى حتى ظهور تيمور لنك فى نهاية القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى ، فأعاد بعث الدولة المغولية من جديد وواصل سياسة أسلافه وأجداده التوسعية •

وعلى الرغم من أهمية وخطورة الدور الذى لعبته مصر للتصدى للاخطار التى هددت العالم الاسلامى فى العصر المملوكى الا أن الدراسات العربية التى توضح ذلك الدور المشرق لا تزال غير كافية لاعطاء صورة شاملة للموضوع بأسره ، وهذا لا يعنى بالطبع انكار جهود أساتذة رواد فى هذا الميدان أشير اليهم فى ثنايا هذا البحث ، فالاعتراف بفضلهم وسبقهم واجب تحتمه الأمانة العلمية من ناحية ، ويفرضه الوفاء الانسانى المطلوب من ناحية أخرى •

وقد تناولت فى هذا البحث علاقة المغول مع العالم الاسلامى منذ ظهور الخطر المغولى فى أوائل القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، ثم علاقة المغول مع دولة المماليك الأولى حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ٦٧٦هـ/١٢٧٧ م ، مشيرا الى دور القوى الصليبية فى ذلك الصراع • وقد اعتمدت فى اعداد هذا البحث على كتب من المصادر العربية والفارسية المترجمة الى العربية ولغات أخرى ، وعلى المراجع الحديثة •

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت اليه •

والله ولى التوفيق ••

د• أحمد عبد الكريم سليمان

الفصل الأول

المغول والقوى الاسلامية قبل معركة عين جالوت

- التعريف بالمغول ·
- جنكيزخان وتأسيس الامبراطورية المغولية ·
- المغول والدولة الخوارزمية ·
- المغول والخلافة العباسية ·
- سقوط بغداد فى يدالمغول ، ونتائجه ·

الفصـــل الأول

المغول والقوى الاسلامية قبل معركة عين جالوت

التعريف بالمغـــول :

يفرق علماء الأجناس بين ثلاثة عناصر من الجنس البشرى قد تتشابه فى بعض ملامحها لكنها تختلف فى أصولها • وهذه العناصر هى : التتار ، المغول ، الترك • وقد ظل لفظ التتار يطلق على كافة القبائل التى تجاور الصين وتقطن الأقاليم الممتدة من أواسط آسيا الى الجنوب الشرقى من أوربا حتى ظهور جنكيزخان فى القرن الثانى عشر الميلادى(١) • وتحد هذه المناطق شمالا بنهرى أرخون وسلنجا Selenga ، ومملكة القرغيز ، وشرقا باقليم الخطا « الصين الشمالية » ، وغربا بممالك الأويغـــور ، وجنوبا باقليم التبت(٢) • أما المغول وهم شعب يشبه الترك الى حد ما فى اللغة وملامح الوجه فتذكر الأساطير الموغلة فى التاريخ أنهم كانوا احدى القبائل التى اجتاحت المنطقة الواقعة الى الشمال من صحراء جوبى والى جنوب بحيرة بيكال Baikal ، وانهم قضوا وقتهم مثل بقية القبائل الأخرى فى رعى الماشية والخيول والغارات والنهب ، كما ســـعوا الى التحالف مع الأسر الحاكمة فى شمال الصين التى هى بدورها منحدرة من

---

(١) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، الجزء الثانى ، الدولة المغولية ص ٣٣٠ •

وللمزيد من التفاصيل عن مختلف قبائل التتار ونشأتهم انظر :

Paul Pelliot et Louis Hambis, Histoire des Campagnes des Gengiskhan, Tome I, pp. 2—9.

(٢) د• عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ص ١٦ •

منبع أو مخزون بشرى مماثل[٣] • وبرغم اشتهار أمر المغول من بعد جنكيزخان فقد ظل صيت التتار القديم غالبا ، وصار اسمهم ساريا على المغول أنفسهم فى بعض بلاد أواسط آسيا وفى سوريا ومصر ومناطق أخرى كثيرة[٤] • أما الترك فقد جاء اسمهم صراحة لأول مرة فى نقوش أرخون ، ومن هذه النقوش يتبين أن سلطان الترك كان يمتد فى القرن السادس الميلادى بين حدود الصين وحدود ايران والدولة البيزنطية ، فكانت قبائلهم تنتشر فى هذه المناطق كلها[٥] • ولعل المغول والترك ينحدرون جميعا من الهون[٦] • ويقول رشيد الدين الهمدانى مؤرخ المغول الكبير « ومع أن الأتراك والمغول وشعبهم يتشابهون ؛ وأطلق عليهم فى الأصل لقب واحد ، فان المغول صنف من الأتراك ، وبينهم تفاوت واختلاف شاسع »[٧] • وقد استعان المغول بعناصر تركية كثيرة فى الجيش المغولى

---

(3) Sykes, P., A history of Persia, vol. II, p. 71—72.

(٤) فضل الله رشيد الدين الهمدانى : التاريخ الغازانى ؛ مخطوط مصور القسم الأول ، ورقة ٨٩ •

(٥) نقوش ارخون نسبة الى نهر ارخون فى غرب منغوليا ، وقد اكتشفت فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى تخلد اقدم ذكرى للسان التركى ، فاصحاب هذه الآثار قد سموا أنفسهم لأول مرة فى التاريخ باسم الترك ، وانهم ظهروا فى القرن السادس الميلادى . انظر :

بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ؛ تعريب د. احمد السعيد سليمان ص ٣ ، ٤ ،

السادانى : مرجع سابق ج ٢ ص ٣٣٢ •

(٦) يذكر Sykes ان كثيرا من المؤرخين يعتقدون ان المغول ينحدرون من الهون ، كما يعتقد بارتولد ان الأتراك ينحدرون أيضا من الهون . فالترك أحفاد الهون . انظر : Sykes, op. cit., vol. II, p. 71;

السادانى : مرجع سابق ج ٢ ص ٣٣٢ هامش (١) .

(٧) رشيد الدين : جامع التواريخ . المجلد الثانى . الجزء الأول ص ٢١٢ . وللمزيد من التفاصيل عن أوجه الاختلاف بين عناصر التتار والمغول والترك .

انظر : رشيد الدين الهمدانى : التاريخ الغازانى ، القسم الأول أوراق : ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٢٢ — د. محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشرى ص ٢١٧—٢١٨ ، ٣٢٤—٣٣٠ •

وكلما تقدم المغول غربا فى اتجاه شرق أوربا أو جنوبا بغرب فى اتجـاه البلاد الاسلامية زاد العنصر التركى فى الجيش المغولى ، فالمغول والترك يشتركون فى الحياة البدوية ، وهناك تشابه بينهما فى استعمال الأسلحة وطرق الحرب ، ثم زاد من ذلك التقارب بين الجنسين غزو المغول لمنطقة القبجاق واستقرارهم فيها(٨) .

جنكيزخان :

وقد أنجب العنصر المغولى فى منتصف القرن السادس الهجـرى/ الثانى عشر الميلادى حوالى سنة ١١٦٧ م بطلا قوميا هو تيمـوجين أو جنكيز فيما بعد(٩) . وقد استطاع تيموجين توحيد قبائل بنى جلدته تحت

(8) D. Ayalon, The Great yasa of Chingiz khan, p. 126, in «Studia Islamica Tome XXXVI, 1972».

(9) I Gor de Rachewiltz, Personnel and Personalities in north china in the early Mongol period, p. 95, in «journal of economic and Social History of the Orient, vol. IX 1966».

وهناك روايات أخرى تذكر أن مولده فى سنة ١١٥٥ م او سنة ١١٦٢م. انظر :

Vladimirtsov, Gengis Khan, trad. Michel Carsow, p. 12; Sykes, op. cit., vol. II, p. 73; M. Prawdin, The Mongol empire, Its rise and Legacy, P. 23.

ومن الصعب تفسير معنى كلمة جنكيز ، فهو لقب اصبح بمقتضاه تيموجين ذائع الصيت فى العالم كله ، ويمكن الافتراض بأن ذلك اللقب كان اسما لروح نافعة ومقدسة فى ذلك الوقت عند المغول الشامانيين . واصحاب المذهب الشامانى كانوا يعبدون الطبيعة والقوى الخفية وقد انتشرت هذه العباده فى أواسط آسيا . وهذا الافتراض يؤيده ان عددا كبيرا من الأشـخاص كانوا يرون أن تيموجين مختار من السماء ، كما أن تيموجين نفسه كان يعتقد أن يبدى اهتماما لتدخل السماء فى مصـيره ، وكان يقول : الأرض ملكى . والله ملكنى اياها . انظر :

Vladimirtsov, op. cit., p. 34; M. Prawdin, op. cit., p. 84;

لوائه ، ونظرا لأن التتار قد قتلوا والده ، فقد ساعد أسرة كين Chin فى شمال الصين على هزيمة التتار أعداء المغول حوالى سنة ١١٩٦ م[١٠].
وكان المغول وجنكيز يدينون بالتبعية الاسمية للصينيين ويدفعون الجزية لهم ، وبعد أن حصل جنكيز فى اجتماع القوريلتاى « الشورى » سنة ١٢٠٦ م على رئاسة كل القبائل المغولية أراد الاستقلال والتحرر من تلك التبعية ، الا أن الوقت لم يكن مناسبا لفتح باب الصراع مع أسرة كين .
فقد كان على جنكيز أولا تعزيز قوته داخل منغوليا باخضاع القبائل المتمردة فى غرب البلاد ، ثم كسب صداقة الأونجوت Ongut وهى القبيلة التركية النسطورية الهامة فى وسط منغوليا وكانت متحالفة مع أسرة كين فى الصين ، وأخيرا تحييد أو اخضاع أسرة هس هسنيا Hsi-Hsia فى اقليم كانسو بالصين[١١].

وبعد أن حسم جنكيز المقاومة الأخيرة فى منغوليا ، وقوى روابطه مع الأونجوت Ongut ، هاجم كانسو وأجبر حاكمها على عقد معاهدة أعلن بمقتضاها ذلك الحاكم تبعيته للمغول ، وبذلك أصبح جنكيز مستعدا لمهاجمة أسرة كين Chin ، فتوقف عن ارسال الجزية المعتادة لمدة سنتين ، ثم استطاع عن طريق الموظفين الفارين من البلاط الصينى اليه

=

السبكى : طبقات الشافعية الكبرى جـ ١ ص ٣٣٣ .

ويرى بعض الباحثين أن لفظ جنكيز بمعنى القوى الجبار أو أعظم الحكام أو امبراطور البشر أو امبراطور العالم . وانه لفظ أويغورى : انظر :

فامبرى : تاريخ بخارى تعريب الساداتى ص ١٦٢ . د. السياد : المغول فى التاريخ جـ ١ ص ٣٩ ، ٤٨ ، حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٠٩ـــ١١٠ ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ص ٣٢ .

Hilda Hookham, Tamburlaine, The Conqueror, p. 30.

(10) I Gor de Rachewiltz, op. cit., p. 95; p. Pelliot et I. Hambis, op. cit., p. 191—192; Vladimirtsov, op. cit., p. 37.

(11) I Gor, de Rach., op. cit., p. 96.

الحصول على معلومات كافية عن النظام الداخلى والدفاعى لأسرة كين . كما حرضه هؤلاء اللاجئون على الهجوم • وقاد جنكيز بنفسه المرحلة الأولى من العمليات العسكرية من سنة ١٢١١ م الى سنة ١٢١٥ م . وقد أنتهت تلك المرحلة بسقوط « بكين » Peking ، فأصبح للمغول عندئذ قاعدة أمامية ثابتة فى شمال الصين • وعاد جنكيز بعد ذلك الى منغوليا لاستئناف الحرب فى جبهات أخرى بعد أن عين قادة مغول آخرين لقيادة العمليات العسكرية فى جنوب الصين ، وهى العمليات التى استمرت الى ما بعد وفاة جنكيز عام ١٢٢٧ م ، وقد انتهت باخضاع الصين للحكم المغولى[١٢] • هذا فى حين نجح جنكيز فى دخول القرلق فى منغوليا حيث استسلم له أرسلان خان فكان أول حاكم مسلم يخضع للفاتح المغولى[١٣] • وقد اشترك ارسلان خان القرلق وسقناق تيجين Suqnaq-Tegin حاكم المالق وهو مسلم أيضا مع جيوشهما فى الحملات التى قادها جنكيزخان فيما بعد ضد الدولة الخوارزمية[١٤] •

(12) I Gor de Rach., op. cit., pp. 102—104, 115—117; Hilda, H., op. cit., p. 31; M. Prawdin, op. cit., 107—108, 111—113, 116—141.

(13) E. Bretschneider, Notices on the Medieval Geography and history of central and western Asia, p. 145 — 146; P. Desmaison, Histoire des Mongols et des Tatares par Aboul-Ghazi Behadour khan, p. 38—39;

بارتولد : مرجع سابق ص ١٢٩ ، ١٥٦ — الساداتى : مرجع سابق ج ٢ ص ٣٤٤ — د. عبد السلام فهمى : مرجع سابق ص ٣٩ .

(14) Barthold, Four studies on the history of Central Asia, vol.I p. 39.

المغول والدولة الخوارزمية :

وبعد أن حقق جنكيزخان انتصاره فى الصين ، واستولى على ما تبقى من أراضى الخطا انصلت حدود دولة المغول بحدود الدولة الخوارزمية التى كانت قد شملتأ راضى فارس كلها(١٥) .

وكان سلطان الدولة الخوارزمية آنذاك هو السلطان محمد خوارزم

---

(15) Cambridge Medieval history, vol. IV, part I, p. 660;

حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية ص ٦٦ .

ودولة الخطا أو القراخطائيين وهم من الترك الوثنيين كانت قد استقرت فى بلاد ما وراء النهر بعد أن هزموا السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى عند باب سمرقند سنة ٥٣٦ هـ/١١٤٢ م ، ودام حكمهم فى هذه البلاد الى أن أجلاهم عنها السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه بمساعده المغول سنة ٦٠٧ هـ/١٢١١ م . وكانت هذه الدولة سدا منيعا بين بلاد المسلمين وغيرهم من الوثنيين كالمغول وغيرهم ، وحين هزمهم علاء الدين محمد خوارزم شاه لم يقض عليهم فحسب بل أزال ما بين بلاد المسلمين والكفار من سد منيع ، وأصبح هو نفسه عاجزا عن حماية هذه البلاد ، فلما هاجمه المغول لم يحل دونهم حائل . انظر :

النظامى العروضى السمرقندى : جهار مقالة — حواشى محمد بن عبد الوهاب القزوينى ، نقله من الفارسية الى العربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ حاشية رقم ٢١ — الاصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص٢٥٣—٢٥٥ — ابن خلدون: كتاب العبر مجلد ٥ جـ٩ ص١٣٧ ، ١٩٢ ، ٢٢٠—٢٢٢ — ابن الأثير : الكامل جـ١٢ ص ٢٦٧ — د. عبد النعم حسنين : ايران والعراق فى العصر السلجوقى ص ١٢١—١٢٢ — بارتولد : مرجع سابق ص ١٥٠—١٥١ ،

Bretschneider, op. cit., p. 22—42; Barthold, Four studies. vol.I, p. 27—29, 30—31; M. Prawdin, op. cit., 144—146.

شاه ، وهو شخصية عرفت بقوتها وطموحها وغرورها[١٦] • ولأن الرجال الأقوياء لا يطيق بعضهم بعضا ، فكان طبيعيا ألا تكون هنـــاك علاقات ودية بين جنكيزخان والسلطان محمد خوارزم شاه ، ففضلا عن اختلاف العقيدة الدينية بينهما ، فقد حقق كل منهما لنفسه شهرة واسعة ، وعلى ذلك كان الصـــدام حتميا بين القـــوتين المغولية الوثنيـــة ، والخوارزمية الاسلامية •

ويحيط الغموض والاضطراب تاريخ الاتصالات الأولى بين السلطان محمد الخوارزمى وجنكيزخان ، كما يصعب أحيانا التوفيق بين المصادر المختلفة ، وطبقا لبعض الروايات فقد بدأت الاتصالات مبكرا منذ سنة ٦١٢ هـ/١٢١٥ م عندما انبهر السلطان محمد بثروات الصين فى الوقت الذى زادت شكوكه من التقارير التى تلقاها عن عمليات جنكيزخان فى تلك المنطقة •

---

(١٦) أول أمراء الدولة الخوارزمية هو محمد بن ابى شكين الذى ولاه السلاجقة على اقليم خوارزم واصبح لقبه خوارزم شاه ، وتتابع ابناؤه فى الحكم حتى تولى محمد بن تكش خوارزم شاه الذى تمكن من الاســـتيلاء على خراسان والرها وهمذان وبلاد الجبل سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٣ م• ولما زاد نفوذه ارسل الى الخليفة العباسى فى بغداد سنة ٦١٤هـ/١٢١٧ م يطلب منه اقامة الخطبة للخوارزميين كما كانت لبنى سلجوق • ولـــما رفض الخليفة ذلك الطلب هدده السلطان محمد بالاستيلاء على بغداد • ثم سار ابنه جلال الدين على سياسته • انظـــر :

النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ص ٤٩ — السبكى : مصدر سابق جـ ١ ص ٣٣٠ — ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب جـ ٤ تحقيق د• حسنين محمد ربيع ص ٣٤ — ٣٦ — حافظ حمدى : الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ص ١١٢—١١٣ — عبد النعيم حسنين : مرجع ســـابق ص ص ١٢٣ — ١٢٥ ،

M. Prawdin, op. cit., p. 147—148.

ويقال بأن الخليفة العباسى كاتب المغول بالاتفاق مع بطريرك النساطرة فى بغداد للهجوم على الدولة الخوارزمية عندما علم الخليفة بنية السلطان محمد خوارزم شاه بالهجوم على بغداد •

انظـــر :

M. Prawdin, op. cit., 150—153.

وعلى الفور قرر السلطان محمد الوقوف على حقيقة الأمر باجراء اتصال مع العاهل المغولى ، فأرسل اليه سفارة كان على رأسها بهاء الدين الرازى • وعندما ذهبت السفارة كان جنكيز قد أتم غزو الصين ودخل بكين فشاهد السفراء ابن امبراطور أسرة كين الصينية والوزير الأول مكبلين فى الأصفاد أمام جنكيزخان ، فى الوقت الذى كان هناك جبل من قتلى الصينيين هم عبارة عن عظام ستين ألفا من نساء الصين اللائى انتحرن من فوق الأسوار وفضلن الموت على الوقوع فى أسر المغول • وقد خفف استقبال جنكيزخان الودى للسفراء من دهشتهم وذهولهم ، وقد طلب منهم أن يبلغوا السلطان محمد أن جنكيزخان يعتبره حاكما على المغرب ، كما أن جنكيزخان يعتبر نفسه حاكما على الشرق • وقد وافق جنكيز على عقد معاهدة سلام وصداقة بين الجانبين تتيح للتجار حرية السفر بين أراضى دولتيهما ، وأرسل هدايا قيمة للسلطان من بينها سبيكة كبيرة من الذهب ، كما أرسل معهم مجموعة من التجار مع قافلة من خمسمائة جمل محملة بالذهب والفضة والحرير والفراء[١٧] • غير أن هناك روايات أخرى تذكر أن الاتصالات الأولى بدأت من جانب جنكيزخان عندما أرسل سفارة الى العاهل الخوارزمى وصلت بخارى سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨ م حاملة الهدايا ورسالة تحمل معنى الصداقة وطلب تسهيل التجارة بين البلدين[١٨] ، غير أن الرسالة فيما يبدو كانت تحمل عبارات التعالى من جانب جنكيزخان مما أثار غضب السلطان محمد خوارزم شاه •

---

(١٧) وصاحب هذه الرواية هو الجوزجانى ، انظر :

Cambridge History of Iran, volume 5, edited by J. A. Boyle, P. 303—304.

(١٨) وذلك طبقا لرواية النسوى ، انظر :

Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 303—304;

وانظر ايضا : السبكى مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٦٩ •

ويروى المؤرخ الايرانى غياث الدين خواندمير أن السلطان محمد خوارزم شاه عندما اجتمع بسفير جنكيزخان وهو « محمود بلواج » وكان خوارزمى الأصل رحل عن وطنه والتحق بخدمة جنكيزخان . يروى أن السلطان حاول رشوة السفير . ثم قال له : « انك تعلم الى أى مدى وصلت اليه حدود دولتى . والى أى درجة بلغت قوتى وسطوتى ، فمن يكون سلطانك هذا الذى يكتب الى بقوله « يا بنى » ، ويتحدث الى من مركز الأقوى ؟ وضح لى مقدار جيشه وعتاده . فخاف محمود بلواج سماع هذا الكلام ورد على السلطان ببعض الكلمات الملفقة الكاذبة حيث قال له : ان جنود جنكيزخان بالنسبة لجنود سلطان العالم التى لا حصر لها مثل ضوء الشمعة أمام ضوء الشمس التى تنير العالم ، ومثل ظلام الليل أمام نور النهار »(١٩) .

ومهما كان الأمر من تلك الاتصالات فان المؤرخين يجمعون على أن السبب الرئيسى والمباشر للحرب بين جنكيزخان والسلطان محمد الخوارزمى هو ما يعرف بحادث أوترار Otrar .

والواقع أن ذلك الحادث لم يكن الا ذريعة استند اليها جنكيزخان للتوسع فى الأراضى الاسلامية . اذ لو لم يقع مثل ذلك الحادث ما نجت البلاد الاسلامية من هجماته ، فنظام حكمه كان نظاما عنصريا لم يكن يهدف الى رفع عشيرته فوق كل قبائل المغول فقط ، بل فوق كل الشعوب أيضا، لأنه كان يعتقد أن السماء هى التى أمرته بأن يحكم كل الشعوب(٢٠) . وكان جنكيزخان قد أرسل الى السلطان محمد مجموعة من التجار الذين كانوا موضع رعاية الحاكم المغولى لنشاطهم التجارى الواسع فى

---

(١٩) د. حربى امين سليمان : المؤرخ الايرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء ص ٣٣٠ — ٣٣١ ، وانظر ايضا :

P. Desmaison, op. cit., p. 103—105.

(20) Vladimirtsov, op. cit., p. 56, 135.

أراضيه . وذلك بهدف تسهيل التجارة بين البلدين[٢١] ، وربما أيضا بهدف التجسس . فشك السلطان محمد فى هؤلاء التجار بعد أن أرسل اليه نائبه فى أوترار ينال خان يقول له « ان هؤلاء القوم قد جاءوا الى أوترار فى زى التجار . وليسوا بتجار بل أصحاب أخبار يكشفون منها ما ليس فى وظائفهم »[٢٢] . كما أن السلطان محمد سبق أن استنكف من مخاطبة جنكيز له بأنه مثل « أعز أولاده » . وعلى ذلك أرسل السلطان أوامره الى حاكم أوترار بقتل هؤلاء التجار . ولما استنكر جنكيز ذلك العمل وأرسل الى السلطان سفارة أخرى تحمل تهديدا بالانتقام اذا لم يسلم اليه حاكم أوترار ليقتص منه أمر السلطان بقتل أعضاء السفارة ، فاستشاط جنكيز غضبا وصمم على تدمير الدولة الخوارزمية[٢٣] .

وأراد السلطان محمد خوارزم شاه المبادرة بالهجوم وأخذ المغول على غرة بعد أن علم من جواسيسه كثرة عدد رجال جنكيز ، فوصل الى احدى بلادهم فى عام ٦١٦ هـ/١٢١٩ م فى غياب القوات المغولية التى

---

(21) ATA-Malik juvaini, The history of the world Conqueror, Translated by J. A. Boyle, vol. I, p. 79.

(٢٢) النسوة : سيرة السلطان جلال الدين ص ٨٥—٨٦ ؛

د. عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ص ٥٢ — ٥٣ .

(23) Bretschneider, op. cit., p. 54; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 304—305; Grousset, L'empire Mongole, p. 227; Vladimirtsov, op. cit., p. 94; Barthold, Four studies.., vol. I, p. 36 -37; Sykes, op. cit., vol.II, p. 75;

وانظر ايضا :

أبو الفضائل بن نظيف الحموى : التاريخ المنصورى ص ٨٠—٨٢ . ابن واصل : مصدر سابق ج ٤ ص ٣٧—٣٨ ؛ ابن خلدون : مصدر سابق ج ٩ ص ٢٣٦—٢٣٧ . ج ١٠ ص ١١٠٣—١١٠٤ . السبكى مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٢—٣٣٣ . حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية ص ٦٧—٦٨ .

كانت تحارب الترك فى مناطق أخرى ؛ وأوقع خوارزم شاه بالسكان المغول ، وقبل انسحابه فوجىء بعودة قوات المغول ، فدارت بين الطرفين معركة شديدة قتل فيها أعداد كبيرة من الجانبين دون أن يحقق أحدهما نصرا حاسما على الآخر ، ثم انسحب الخوارزميون الى بخارى حيث أمر السلطان محمد بالاستعداد للحرب وتحصين مدن بخارى وسمرقند وغيرها من المدن توقعا لهجوم مغولى كبير ؛ أما هو فعبر نهر جيحون وعسكر عند بلخ[٢٤] . وصح ما توقعه السلطان محمد ، فقد هاجم المغول بخارى بعد خمسة شهور من عودته من بلاد المغول ، وفرضوا عليها الحصار . وبعد قتال دام ثلاثة أيام انسحبت حامية المدينة الى خراسان ، فاستسلم الأهالى فى رابع ذى الحجة سنة ٦١٦ هـ/١٢٢٠ م فعاث جنكيز ورجاله فسادا من قتل وسبى ثم أحرقوا المدينة حتى أصبحت خاوية[٢٥] . ثم اتجه جنكيزخان الى سمرقند فحاصرها وفيها حامية تقدر بخمسين ألفا ، لكنها لم تقاتل بسبب الفزع الذى حل بها وفضلت الاستسلام فأفناهم المغول فى حين اختار السكان المدنيين القتال غير المتكافىء ، فاستشهد منهم ألوف هائلة ، وفعل جنكيزخان فى سمرقند من التدمير والخراب مثلما فعل

---

(٢٤) ابن الأثير : مصدر سابق ج ١٢ ص ٣٦٤—٣٦٥ ، ابن واصل : مصدر سابق ج ٤ ص ٤٠—٤١ ،

Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 305—306.

.. وانظر ايضا : السبكى : مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٤ .

(٢٥) ابن الاثير : مصدر سابق ج ١٢ ص ٣٦٦ — ٣٦٧ ؛ ابن واصل : مصدر سابق ج ٤ ص ٤٢ — ٤٣ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٧—٤٠٨ وذكر ان الهجوم وقع فى أوائل المحرم سنة ٦١٧ هـ وان المغول قتلوا حامية المدينة عند انسحابها ، أبو الفضائل ابن نظيف الحموى : مصدر سابق ص ٨٥ ، السبكى : مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٥ ،

Camb. Hist. of Iran; vol. 5, p. 307—308.

فى بخارى ؛ وفشلت جهود السلطان محمد فى انقاذها بالامدادات[٢٦] • ويقال بأن جنكيزخان قد سوى المدينة بالأرض ونقل كل صناعها المهرة لا سيما نساجى الحرير والقطن وألحقهم بخدمة أقربائه . بل انه نقل مهرة البستانيين من أهل سمرقند ليزينوا عاصمة المغول بمنتزهات على نمط مغانى سمرقند[٢٧] •

وظلت فرق المغول تستولى على المدن الخوارزمية واحدة تلو أخرى وتطارد السلطان محمد خوارزم شاه الذى فر الى نيسابور تتبعه قوات المغول أينما نزل حتى وصل الى مرسى من بحر طبرستان وأختفى فى أحد القلاع[٢٨] • وكانت أوامر جنكيزخان الى قادة جيشه سوبتاى Subutai وشيبى Chebé تقضى بضرورة القبض على السلطان محمد حيا أو ميتا ، فهاجم هذان القائدان عراق العجم ومازندران • ولما فشلا فى اللحاق بالسلطان محمد استمرا فى احراق ونهب مدن الرى وغم وهمدان

---

(٢٦) ابن الاثير : مصدر سابق ج ١٢ ص ٣٦٧—٣٦٨ • ابن واصل : مصدر سابق ج ٤ ص ٤٤ ، السبكى : مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٥ • ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٠٨ وذكر بأن الهجوم كان فى شهر ربيع الأول سنة ٦١٧ هـ/ابريل مايو ١٢٢٠ م • وان حامية المدينة كانت تقدر بمائة ألف وعشرة من الفرسان ، ويبدو أن ذلك الرقم مبالغ فيه • وعن هذه المعارك انظر ايضا ::

Sykes, op. cit., vol. II, pp. 76—78; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 308.

(٢٧) البدليسى : شرف نامه ج ٢ ص ٧٠ فامبرى : مرجع سابق ص ١٥٨—١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٤ • • حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية ص ١١٥—١٢٦ ،

Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 308.

(٢٨) ابن الاثير : مصدر سابق ج ١٢ ص ٣٧٠ • ابو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٧ ، ابن واصل : مصدر سابق ج ٤ ص ٤٥ ، السبكى : مصدر سابق ج ١ ص ٣٣٦ •

وقزوين وواصلا عملياتهما العسكرية حتى تبريز عاصمة اذربيجان[٢٩] • أما السلطان محمد فقد مات على أثر هزائمه فقيرا طريدا شريدا • والواقع أن خطة السلطان الخوارزمى العسكرية لم تكن موفقة ؛ وكانت سببا فى هزيمته مع كثرة جيوشه . فبسبب عدم ثقته فى ولاء قواته له ؛ وبوجه خاص بعد فشل المؤامرة التى دبرتها قواته بعد استيلاء المغول على سمرقند[٣٠] ؛ قام بتقسيم جيوشه الى وحدات صغيرة فسهل بذلك على جنكيزخان القضاء عليها . ولو أنه واجه المغول بكتائبه كلها قبل تقسيمها « لاختطفهم خطفة ، ونسفهم عن الأرض نسفا »[٣١] • ويبدو أيضا أن جيش خوارزم شاه نظرا لكثرته فقد ضم عناصر من المسلمين والنصارى والمجوس على اختلاف بلدانهم . فلم تكن كلمتهم كلها متفقة ، ولم يكن يوجد لدى العناصر الغير مسلمة الخوف على دين الاسلام والدفاع عنه مثلما هو عند المسلمين ؛ كما أن خوارزم شاه كان قد طعن فى السن فلم يستطع احكام قبضته على جيشه[٣٢] • ومع كل هذه الاعتبارات فان جنكيزخان كان يخشى بالفعل قوة السلطان محمد الخوارزمى حتى أنه طلب المساعدة من التانجوت ، لكنهم رفضوا مساعدته وسخروا منه[٣٣] •

---

(29) Grousset, L'empire Mongole, p. 238;

Bretschneider, op. cit., P. 68; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 310—311.

(30) Barthold, op. cit., p. 39;

أبو الفضائل بن نظيف الحموى : مصدر سابق ص ٨٦—٨٨ •

(٣١) النسوى : مصدر سابق ص ٩٠—٩١ ، ١٠٦—١٠٨ •

(٣٢) السبكى : مصدر سابق جـ ١ ص ٣٣٣ ، وقد اضاف السبكى أن خوارزم شاه قد اختلط عقله قليلا •

(٣٣) روى المؤرخون أن وزير التانجوت رد على جنكيزخان باستهزاء قائلا « اذا لم يكن جنكيزخان لديه القوة الكافية فلماذا يرغب فى أن يكون خانا؟ فأسرها جنكيز فى نفسه وأجل الانتقام الى ما بعد الفراغ من الخوارزميين . انظــر :

Grousset, op. cit., p. 231; Vladimirtsov, op. cit., p. 96.

وحمل عبء الجهاد بعد وفاة السلطان محمد الخوارزمى ابنه جلال الدين الذى ورث عن أبيه عبئا ثقيلا فى حين لم يكن يملك من القوة ما يدفع به ذلك الخطر الداهم ، لكن جلال الدين لم ييأس وقاتل بكل شجاعة دفاعا عن ملكه ، ولم شعث الخوارزميين وأوقع بالمغول خسائر فادحة عند بلق بالقرب من غزنة ، وعند كابل سنة ٦١٨هـ/١٢٢١ م(٣٤) ، لكن حصاد الصراع فى النهاية كان لصالح الفاتح المغولى الذى نجح فى الحاق الهزيمة بجلال الدين عند ضفاف السند سنة ٦١٨ هـ/١٢٢١ م(٣٥) ، على الرغم من استبسال جلال الدين فى هذه المعركة حتى كادت الدائرة تدور على جحافل المغول لولا أن جنكيزخان أعد كمينا انقض على قوات جلال الدين وزعزعها من مواقعها ، فاضطر جلال الدين الى عبور نهر السند الى الضفة الأخرى متجها الى الهند(٣٦) ، فأفلت من يد عدوه الذى لم يشف غليله بالقبض على جلال الدين ، فقتل كل أولاده

---

(٣٤) ابن الأثير : مصدر سابق ج ١٢ ص ٣٩٥—٣٩٦ ، أبو الفداء : مصدر سابق ج ٣ ص ١٢٨ ، ابن واصل : مصدر سابق ج ٤ ص ٦١—٦٢ .

(٣٥) رشيد الدين الهمدانى : تاريخ الغازانى ق ٣ الأوراق ٤٢٠—٤٢٥ ، النسوى : سيرة السلطان جلال الدين ص ١٥٨ — ١٥٩ ، ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤١١—٤١٢ ، أبو الفضائل بن نظيف الحموى : مصدر سابق ص ٨٩ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ٩ ص ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ج ١٠ ص ١١١١ ، عباس عزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ١٢٢ ،

ATA-Malik juvaini, op. cit., p. 133—135; Bretschneider, op. cit., p. 58; Barthold, op. cit., vol. I, p. 42.

(٣٦) النسوى : مصدر سابق ص ١٥٨—١٦٠ ،

Grousset, op. cit., p 243.

وذكر ابن الاثير وابن واصل أن من أسباب هزيمة جلال الدين اختلاف قادة جيشه بعد معركة كابل على الغنائم .

انظر : ابن الأثير : مصدر سابق ج ١٢ ص ٣٩٦ — ٣٩٧ ، ابن واصل : مصدر سابق ج ٤ ص ٦٢ .

الذكور[٣٧] ، فانتهت بذلك المقاومة الفعلية للدولة الخوارزمية التى كانت بمثابة الترس المانع والحامى لجميع الدول الاسلامية فى غربى آسيا من هجمات المغول وغيرهم من الأسيويين[٣٨] .

وتوفى جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م . وكان قد قسم امبراطوريته قبل وفاته بين أبنائه ، فتسلم تولى Tuli أصغر الأبناء ممتلكات أبيه الأصلية وهى منغوليا فضلا عن قيادة القوات الرئيسية للجيش المغولى النظامى . وقد حكم تولى الامبراطورية المغولية بعد وفاة أبيه لمدة عامين ٦٢٤هـ — ٦٢٦هـ/١٢٢٧م — ١٢٢٩م طبقا لقانون الياسا المغولى الذى وضعه جنكيزخان[٣٩] ، وذلك حتى انتخاب الخاقان الجديد . أما الابن الأكبر جوشى Juchi فقد كان نصيبه أبعد المناطق وهى الأراضى الواقعة من نهر أرتش Irtish وغربا حتى آخر نقطة وصل اليها فرسان المغول عند السواحل الجنوبية لبحر قزوين . ويطلق على سكان هذه البلاد وغالبيتهم من الأتراك والتركمان اسم القبيلة الذهبية Golden Horde نسبة الى لون مخيم معسكراتها وهو اللون الذهبى . ولما كان جوشى قد مات فى حياة والده فقد ورث ابنه باتو Batu هذه المناطق . أما اوجيداى أو اوكتاى وهو الابن الثالث لجنكيزخان فقد تسلم حكم أراضى غرب منغوليا . وبعد انتخابه خاقانا أعظم ترك

---

(٣٧) ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤١١ — ٤١٢ .

(٣٨) د . احمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ص ١٢٨ .

(٣٩) قانون الياسا المغولى هو الدستور الذى وضعه جنكيزخان لحكم الامبراطورية المغولية والزم جميع المغول العمل به . للمزيد من التفاصيل عن ذلك القانون انظر :

المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٢ ص ٢٢٠— ٢٢١ ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمى : مرجع سابق ص ٣٣—٣٧ ،

D. Ayalon, The Great yasa of Chingiz khan, in «Studia Islamica Tome XXXIV, XXXVI, XXVIII, 1971, 1972, 1973.

اقطاعه الأصلى وأقام فى ممتلكات أبيه الأصلية فى منغوليا على نهر الأورخون وأسس أول عاصمة للمغول وهى قراقورم Qaraqorum (المخيم أو المعسكر الأسود Black Camp) ، هذا فى حين نال جغطاى Chaghata الابن الثانى أراضى آسيا الوسطى شاملة ما وراء النهر وجنوب خوارزم ، وافغانستان ، وقد تمتع جغطاى فى بداية الأمر بدخل هذه الأراضى فقط ، أما الحكم فيها فبقى تحت ادارة الخاقان الأعظم[٤٠] ٠

وبدأ اوكتاى بعد انتخابه خانا أعظم فى استكمال فتوحات والده ، فاتجهت جيوش المغول عندئذ الى ثلاثة ميادين رئيسية هى : ايران والصين وأوربا ٠ ويهمنا فى هذا البحث أن نوضح ما تم بشأن البلاد الاسلامية ٠ وكان السلطان جلال الدين قد عاد من الهند لاستعادة ملكه ومواصلة الجهاد ضد المغول ، واشتبك معهم فى معارك ضارية عند اصفهان سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧ م ، ثم تتبع فلولهم حتى الرى ، كما أرسل قوات أخرى لصدهم عن خراسان[٤١] ٠ وحشد المغول جيوشا ضخمة تحت قيادة جرماغون من أجل القضاء نهائيا على جلال الدين ، وعبثا حاول السلطان الخوارزمى استنهاض همم أمراء المسلمين الى التحالف معه للوقوف صفا واحدا ضد الخطر المغولى ، لكن جهوده ذهبت ادراج الرياح نتيجة لسياسته مع هؤلاء الأمراء منذ أن عاد من الهند ، فقد كانت جيوشه تجوس خلال العراقين العربى والعجمى تخرب البلاد وتنهب الأموال ، وبوجه خاص فى خلاط التى هاجمها أكثر من مرة ومارس فيها القتل والنهب والاسترقاق خلال السنوات ٦٢٥هـ — ٦٢٧هـ/١٢٢٧م — ١٢٢٩م،

---

(40) Hilda, H., op. cit., p. 35;

وانظر ايضا د. الصياد : المغول فى التاريخ ص ١٦٤ — ١٦٦ ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمى مرجع سابق ص ١٠٠—١٠١ ٠

(٤١) النسوى : مصدر سابق ص ٢٣٢ — ٢٣٨ ، ابن الاثير : مصدر سابق ج ١٢ ص ٤٧٦—٤٧٧ ٠

فتحالف ضده الملك الأشرف موسى صاحب دمشق وديار الجزيرة وخلاط مع سلطان سلاجقة الروم وأوقعا الهزيمة بالسلطان جلال الدين فى رمضان سنة ٦٢٧هـ/أغسطس ١٢٣٠ م ، فضعفت بذلك قوى جلال الدين العسكرية(٤٢) . كما أن طائفة الاسماعيلية حثت المغول على قتال السلطان جلال الدين ودلتهم على ما به من ضعف عسكرى بعد هزيمته ، وذلك انتقاما لما فعله جلال الدين فى بلاد الاسماعيلية عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م عندما هاجم معظم قلاعها من حدود الموت الى كردكوه بخراسان وخرب معظم بلادهم وقتل أهلها ونهب أموالهم(٤٣) . وكان أن هاجم المغول أذربيجان سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١ م فى الوقت الذى شقت فيه قوات جلال الدين عصا الطاعة عليه لسوء سيرته، كما فارقه وزيره مع فرقة كبيرة من جيشه، فغدر جلال الدين بالوزير ، وقد أدت هذه العوامل كلها الى وهن الجيش الخوارزمى وعجزه عن دفع هجمات المغول على أذربيجان ، فلاذ جلال الدين بالفرار تتعقبه قوات المغول الى خلاط ومنها الى آمد حيث أوقعوا به الهزيمة ، لكن جلال الدين تمكن من الهرب ، فلما اعياهم القبض عليه نهبوا سواد آمد وميافارقين وأرزن وطنزه ثم نصيبين ، واضطر أهالى اذربيجان وأهم مدنها تبريز الى الدخول فى طاعة المغول(٤٤) . أما جلال الدين فكان قد اختبأ فى أحد جبال آمد حيث قتل على يد الأكراد(٤٥) . وانتهت بذلك الدولة الخوارزمية ، وان ظلت ذكرى مقاومة

---

(٤٢) ابن الأثير : مصدر سابق جـ ١٢ ص ٤٨١ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ـ ٤٩٠ ، ٤٩٥ـ ٤٩٦ ، سبط ابن الجوزى . مرآة الزمان جـ ٨ ص ٦٥٢ ، ٦٥٩ـ ٦٦٠ ، أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ١٤٦ ، ابن واصل : مصدر سابق جـ ٤ ص ٢٣٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٢٩ ، خصباك :العراق فى عهد المغول الايلخانيين ص ٦ ، السبكى : مصدر سابق جـ ١ ص ٣٤١ ، .
V. Minorsky, Studies in Caucasian history, P. 154.

(٤٣) ابن الأثير : مصدر سابق جـ ١٢ ص ٤٧٠ ، ٤٩٥ ، حافظ حمدى: الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ص ٨٧ .

(٤٤) ابن الأثير : مصدر سابق جـ ١٢ ص ٤٩٦ـ ٥٠٢ .

(٤٥) أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ١٥١ ، ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٣١ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ ق ١ ص ٢٨٠ .

جلال الدين ماثلة فى أذهان المغول فترة طويلة أكثر مما عرف عن والده السلطان محمد[٤٦] ، ولم يعد هناك ما يمنع المغول من مواصلة الزحف غربا للاستيلاء على باقى البلاد الاسلامية •

المغول والخلافة العباسية :

وكانت القوى الاسلامية فى تلك الفترة مفككة ويسود بينها التنافس والتشاحن من ناحية ، ثم انتابها الذعر مما فعله المغول من ناحية أخرى • وكان حريا بتلك القوى الاسلامية أن تنسى خلافاتها وتعمل صفا واحدا لمواجهة الخطر الداهم الذى يهدد المسلمين جميعا الا أن عوامل الانقسام والمصالح الشخصية الضيقة صرفتهم الى مشاكل جانبية زادت من فرقتهم، وأضعفت من قدرتهم وبددت طاقاتهم فى حروب فيما بينهم عادت عليهم جميعا بالخسران •

وهكذا تكررت هجمات المغول على أعالى العراق منذ عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م ، فهاجموا اربل عام ٦٣٣ هـ ثم تكرر هجمومهم فى العام التالى ٦٣٤هـ/١٢٣٦ م ، ثم تقدمت قوات المغول فى اتجاه بغداد عام ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م وأوقعت الهزيمة بجيوش الخليفة عند خانقين[٤٧] • وكانت القوة التى فكر الخليفة العباسى المستنصر بالله فى الاستعانة بها هى قـوة الأيوبيين فى مصر والشام ، غ يرأن البيت الأيوبى كان يعانى من التمزق والصراعات الداخلية ، وذهبت جهود الخليفة العباسى فى محاولة توحيد كلمة الأيوبيين ادراج الرياح ، وبوجه خاص بعد وفاة الملك الكامل وتولية ابنه العادل[٤٨] • ثم استمرت الخلافات قائمة بعد عزل العادل وتوليـة

---

(46) Barthold, Four Studies, vol. I, p. 42.

(٤٧) ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٣٦—٤٣٨ ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٩٨ ، ١١١ ، ١١٣ •

(٤٨) المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٩١—٢٩٨ ، ج ١ ق ٢ ص ٢٦٩—٢٧٢ •

الصالح نجم الدين أيوب مكانه فى الحكم فى مصر[٤٩] . هذا فى الوقت الذى كان المغول يعملون على تصفية فلول وشرازم القوى الاسلامية الباقية مثل سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى ، فهاجموا فى سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م مدينة أرزن الروم ، وقتلوا عددا كبيرا من أهلها ، ثم أوقعوا الهزيمة بالسلطان غياث الدين كيخسرو الثانى فى كوزاداخ Kosadagh فى شرقى الأناضول فى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م واستولوا على سيواس ، كما وضعوا السيف فى أهالى قيسارية ، فاضطر السلطان السلجوقى غياث الدين بعد أن وجد نفسه عاجزا عن دفع المغول ، اضطر الى مصالحتهم على مال وخيل يؤديها لهم كل سنة ، فكانت صدمة عنيفة مهدت لنهاية دولة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى فيما بعد[٥٠] .

وتوفى الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢ م ، فتولى بعده المستعصم بالله أبو أحمد ٦٤٠هـ — ٦٥٦هـ/١٢٤٢ م — ١٢٥٨ م ، فاجتمع حوله مستشارو السوء ، وزينوا له انقاص عدد الجند المحاربين وشراء السلم من المغول اتقاء لشرهم[٥١] . وكان على رأس أولئك المستشارين

---

(٤٩) أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ١٦٦ — ١٧٢ . وللمزيد من التفاصيل عن تلك الفترة انظر : ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٥ تحقيق د. حسنين محمد ربيع ص ٢٥٦—٢٧٠ .

(٥٠) ابن واصل : مصدر سابق جـ ٥ ص ٣٢٦—٣٢٧ ، ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٤٠—٤٤٢ ، د. حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ص ٢٨٢ . ،

Cambridge Medieval history, vol. IV, Part I, p. 660, 748, «edited by J. M. Hussey».

(٥١) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد٢ جـ١ ص٢٧٢ ، المقريزى: مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٣١١ — ٣١٢ ، د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١١٦—١١١٧ .

وقد وصف بعض المؤرخين الخليفة المستعصم بالله بالبخل والشح ،

وزيره ابن العلقمى الذى وصفه كثير من المؤرخين بأنه كان رافضيا يسعى الى ازالة دولة العباسيين ونقل الخلافة الى العلويين ، وأنه أشار على الخليفة المستعصم بقطع أرزاق الجند مما أدى الى ثورتهم(٥٢) . ونتيجة لتلك السياسة الخرقاء فقد تدهور وضع الجيش وغادر كثير من رجاله بغداد الى بلاد الشام ، كما آلت أحوالهم الى سؤال الناس ، وبذل وجوههم فى الطلب فى الأسواق والجوامع(٥٣) ، هذا فى الوقت الذى استمرت غارات المغول على ميافارقين وحران والرها وعاثوا فسادا فى ديار بكر ، كما استولوا على ماردين فى عام ٦٤٢هـ/١٢٤٤م(٥٤) ، كما تقدمت بعض فرق المغول حتى وصلت الى سوق الخيل بظاهر بغداد سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥ م ثم انسحبت بعد أن نهبت ما فى طريقها(٥٥) . وفى عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢—١٢٥٣ م عادت قوات المغول لتهاجم مناطق أعالى العراق وتقدمت حتى رأس العين وساروج وقتلت أكثر من عشرة آلف نفس ، ونهبت قافلة

= حتى قال عنه الملك الأيوبى الكامل ملك ميافارقين وهو يستحث أهلها لقتال المغول « فانى بحمد الله لست كالمستعصم عبدا للدينار والدرهم الذى طوح برأسه وبملك بغداد بسبب بخله وشحه » انظر :

رشيد الدين : مصدر سابق جـ ١ ص ٣١٩ — ٣٢٠ ، ابن تغرى بردى: النجوم جـ ٧ ص٦٤ ، كما وصفه ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقى بأنه كان كلفا باللهو واللعب وسماع الأغانى ، وكان ندماؤه جميعهم منهمكين معه فى التنعم واللذات ولا يراعون له صلاحا ، وقد كتب المستعصم الى بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل يطلب منه جماعة من ذوى الطرب وفى نفس الوقت وصل الى بدر الدين رسول هولاكو يطلب منه منجنيقات وآلات حصار ، فقال بدر الدين لؤلؤ : « انظروا الى المطلوبين وابكو على الاسلام واهله » . انظر : ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ص ٤١—٤٢ .

(٥٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٦٥ ، السبكى : مصدر سابق جـ ٨ ص ٢٦٢ — ٢٦٣ ، ابن تغرى بردى : مصدر سابق جـ ٧ ص ٢٠ ، ٤٧—٥١ .

(٥٣) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٢٦١ ، ٣٢٠—٣٢١ .

(٥٤) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ١٩٤ .

(٥٥) ابن واصل : مصدر سابق جـ ٥ ص ٣٥٤ .

تجارية قادمة من حران الى بغداد تضم ستمائة حمل من السكر والقطن المصرى بالاضافة الى ستمائة ألف دينار[٥٦] .

ووجدت القوى المسيحية فى المنطقة فى المغول حليفا قويا ضد المسلمين ، فاعترف هيثوم الأول ملك أرمينيا الصغرى بسيادة المغول ؛ بل ذهب بنفسه سنة ٦٥٢ هـ/١٢٥٤ م الى بلاط منكوخاقان المغول الأعظم حيث قدم له هيثوم فروض الولاء والطاعة[٥٧] . فأعلن الخاقان عطفه على المسيحية والمسيحيين وعزمه على القضاء على الخلافة العباسية واستعادة الأراضى المقدسة من المسلمين وتسليمها للمسيحيين[٥٨] . كذلك سعى بوهمند السادس أمير أنطاكية الى التحالف مع خاقان المغول[٥٩] ، وبذلك تكون أهداف الصليبيين قد تلاقت مع أهداف المغول فى محو الخلافة العباسية وتقسيم أراضى المسلمين فيما بينهم ، فيأمن بذلك الصليبيون على أنفسهم فى بلاد الشام[٦٠] . ولم يكن الغرب المسيحى وعلى رأسه البابوية أقل اهتماما بالتحالف مع المغول من أجل تنسيق العمل ضد المسلمين فى الشرق ، فقد تقرر منذ مجمع ليون سنة ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م ارسال البعثات الى قادة المغول من أجل ذلك الغرض . وكانت احدى هذه البعثات

---

(56) Howorth, History of the Mongols, Part 111, p. 67.

(٥٧) ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٥٩—٤٦٠ ،

GirGor of Akanc, History of the nation of the archers «The Mongols», p. 57—59; Breéschneider, Notices., p. 224—228; Sykes, op. cit., vol. II, p. 93.

(٥٨) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٠١—١١٠٢ ، حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية ص ٢٣٧—٢٣٨ ، د. الصياد : المغول جـ ١ ص ٢١٤—٢١٥ ،

Thomas wright, Early travels in palestine, The book of john Maundeville, p. 241.

(٥٩) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية ص ٢٣٧ .

(٦٠) د. سعيد عاشور : الحركة جـ ٢ ص ١١٠٢ ، ١١٠٣ .

تحت رئاسة حنا دى بلانو كاربينى John de Plano Carpinis
الفرنسسكانى سنة ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م والأخرى تحت رئاسة أنسلم
Friar Anselm الدومينيكانى ، وذلك الى بايدو القائد المغولى فى
فارس سنة ٦٤٥ هـ/١٢٤٧م ، والبعثة الثالثة تحت رئاسة وليم روبروك
William of Rubruquis الى قراقورم سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢ — ١٢٥٣ م •
كما أرسل القائد المغولى فى غربى آسيا الى الملك لويس التاسع ملك فرنسا الذى كان قد وصل الى قبرس استعدادا لحملته المرتقبة على مصر، أرسل اليه وفدا حمل اليه تمنيات القائد المغولى بنجاح الجيوش المسيحية ضد المسلمين ، وأشار القائد المغولى فى رسالته الى أنه هو الآخر يعمل لتحرير المسيحيين واعادة بناء كنائسهم المخربة ، وقد رحب الوفد البابوى الذى كان مرافقا لحملة لويس بهذه الرسالة ، وطلب من المغول اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكى والاعتراف بسيادة الكنيسة الرومانية على كل الكنائس العالمية • غير أن كل هذه البعثات والاتصالات المتبادلة لم يكن لها نتيجة ايجابية ولم تخرج الى حيز التنفيذ لأن المغول اشترطوا لاتمام التحالف دخول البابوية وسائر الكنيسة الرومانية تحت سيادة الخاقان(٦١) ، بل ان المغول اعتبروا الهدايا التى أرسلها الملك لويس اليهم دليلا على خضوع ملك فرنسا للحاكم المغولى ، ونتيجة لذلك الموقف السلبى من جانب المغول فان لويس التاسع قد شعر بالأسى والأسف لمحاولته التعامل مع المغول ومحاولته أيضا تحويلهم الى المسيحية(٦٢) •

---

(٦١) المزيد من التفاصيل عن هذه الاتصالات انظر :

Sykes, op. cit., vol. II, p. 92—93; Howorth, *op. cit.*, 111, p. 72—73; E. D. Phillips, The Mongols, p. 91; Aziz Suryal Atia, The Crusade.., p. 233—238; M. Prawdin, op. cit., p. 296;

د. سعيد عاشور : الحركة جـ ٢ ص ١٠٩٩ وما بعدها ، د. الصياد : المغول جـ ١ ص ١٩٩ — ٢٠٠ •

(62) M. Prawdin, op. cit., p. 297; Phillips, op. cit., p 91.

ومع أن جهود البابوية قد فشلت فى تنصير الخاقان الا أنها نجحت فى التأثير على بعض قادة المغول فأظهر هؤلاء فيما بعد تعاطفا مع المسيحيين، فاختص ايلخانات فارس المواطنين المسيحيين بالرعاية فى الوقت الذى أساءوا فيه معاملة رعاياهم المسلمين . ويبدو أن المسيحيين جميعا آنذاك كانوا على استعداد للتغاضى عن المذابح التى ارتكبها المغول ضد المسيحيين فى روسيا وبولندا ما دام هؤلاء المغول سوف يقضون فى النهاية على المسلمين(٦٣) .

وحدثت تطورات هامة فى داخل امبراطورية المغول أسفرت عن تعيين منكو خاقانا أعظم (منكوخان أو منجوخان) فى قراقورم منذ سنة ٦٤٩ هـ/١٢٥١ م فى اجتماع ضم رؤساء القبائل المغولية . وفى ذلك الاجتماع تقرر ارسال حملتين حربيتين : احداهما بقيادة قوبيلاى وتتجه الى الصين والمناطق المجاورة لمنغوليا وبعض أجزاء من الهند ، والأخرى بقيادة هولاكو لفتح غرب ايران والشام وبلاد الروم والأرمن ومصر(٦٤) . وقد جاء فى أوامر منكوخان الى هولاكو عند الاستعداد للحملة : « ينبغى أن تسير من توران الى ايران ، وحافظ على تقاليد جنكيزخان وقوانينه فى

---

(٦٣) ويقال بأن المغول ملأوا اكياسا بآذان قتلاهم فى بولندا وحدها ، فبلغ مجموع ما جمعوه ٢٧٠٫٠٠٠ الف اذن اخذوها معهم دليلا على ما كانوا يفتخرون به من بأس وسطوة . انظر : براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ترجمة د. امين الشواربى ص ٥٧٣—٥٧٤ .

(٦٤) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٣٤ — ٢٣٧ ،

Howorth, op. cit., 111, p. 90; Grousset, l'empire des Steppes, p. 427; Sykes, op. cit., vol. 11, p. 94; Camb. Med. Hist., IV, Part I, p. 660; A Lessandro Bausani, The Persians From the earliest days to the twentieth Century, p. 109;

د. الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين ، ص ٢٧ .

الكليات والجزئيات ، وخص كل من يطيع أوامرك ويجتنب نواهيك فى الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصى بلاد مصر بلطفك وبأنواع عطفك وانعامك . أما من يعصيك فأغرقه فى الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه وكل ما يتعلق به »(٦٥) . وقد وضع منكوخان تحت أمرة أخيه هولاكو أعدادا هائلة من القوات ، وفضلا عن ذلك فقد خصص منكوخان أيضا اثنين من كل عشرة رجال من جنود جنكيزخان ليكونوا بمثابة حرس خاص لهولاكو وليرافقوه فى حملته على ايران ويلازموه هناك ، كما أحضر منكوخان من بلاد الخطا ألف أسرة من المدربين على استعمال أدوات القتال من المجانيق وزراقات النفط ورماة السهام للانضمام الى جيش هولاكو ، وأرسل المرشدين فاختبروا الطريق الذى سوف يمر منه هولاكو وقواته من قراقورم حتى شاطىء جيحون ، واعتبر المغول جميع المزارع والمراعى فى تلك البلاد مناطق محرمة ، كما أقاموا الجسور على الأنهار العميقة وعلى مجارى المياه السريعة ، وأعد منكوخان تموين جيش هولاكو من جميع أنحاء الامبراطورية المغولية ، فخص كل جندى مائة من من الدقيق ، وقربة من النبيذ(٦٦) .

ومن الواضح أن المغول قد أعدوا حملتهم العسكرية الكبيرة ضد البلاد الاسلامية بعد أن اختبروا القوى الاسلامية فى المنطقة سواء بحملاتهم السابقة على الأراضى الاسلامية بين الحين والحين ، أو عن طريق جواسيسهم التى لعبت دورا كبيرا فى استمالة بعض الحكام المسلمين بالترهيب والترغيب . ففى بغداد كان هناك الوزير ابن العلقمى الذى ذكر عنه المؤرخون أنه كان يكاتب المغول سرا ويحثهم على غزو العراق

---

(٦٥) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ص ٢٣٦ .

(٦٦) رشيد الدين : نفس المصدر مجلد ٢ ج ١ ص ٢٣٥ .

والاستيلاء على بغداد(٦٧) • وفى الموصل كان هناك بدر الدين لؤلؤ الذى أمد المغول ببعض آلات القتال ، بل ويقال بأن ابنه اشترك مع المغـــول فى الهجوم على بغداد(٦٨) • أما فى الشام فكان هناك الناصر يوســف الأيوبى الذى كان على علاقة مشبوهة بالمغول وأرسل الهدايا والسفارات الى هولاكو(٦٩) • والمعروف أن الناصر يوسف حاول أكثر من مرة تشكيل حلف من بقايا البيت الأيوبى فى بلاد الشام من أجل الاستيلاء على مصر ، ومن أجل تحقيق غرضه سعى أيضا الى التحالف مع لويس التاســع فى أثناء اقامته فى عكا بعد رحيله عن مصر ، ولكن لويس التاسع خيب ظنه ولم يستطع التحالف معه بسبب الضغوط التى واجههــا من جانب المماليك فى مصر ، اذ كان لويس لا يزال مرتبطا بمعاهدة دمياط وشروطها القاسية(٧٠) •

---

(٦٧) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٩٨ — ١٩٩ ، اليونينى : ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٨٧ ، ابن ايبك الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر جـ ٨ المعروف باسم : الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية ص ٢٤ ، ٢٩ ، ابن تغرى بروى : النجوم جـ ٧ ص ٢٠ ، ابن خلدون : العبر جـ ١٠ ص ١١٤٩ ، د. سعيد عاشور : الحركة جـ ٢ ص ١١١٦ — ١١١٧ ،

والمؤرخون الذين ينتمون الى المذهب الشيعى يدافعون عن ابن العلقمى وينفون اتصاله بالمغول ، ويذكرون ان تلك التهمة مصدرها الدوادار الذى كان يتآمر على الخليفة ، انظر : رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٦٢—٢٦٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ٣٠٢ ، ويأخذ خصباك بهذا الرأى انظر : تاريخ العراق فى عهد المغول ص ٢٦—٤٣ •

(٦٨) اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص ٨٧—٨٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠٠ •

(٦٩) اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص ٤٥ •

(٧٠) د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٥٦—٥٧ ، د. احمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشـــام ص ١٢٥—١٢٦ •

ومهد المغول لاستيلائهم على بغداد بالقضاء على قلاع الاسماعيلية بفارس حتى لا تشكل تهديدا لقواتهم من الخلف عند مواصلة الزحف غربا فى اتجاه العاصمة العباسية ، وقد تمكن المغول من أسر آخر رؤساء الاسماعيلية وهو شيخ الجبل ركن الدين خورشاه سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦ م ، وأرسله هولاكو الى قراقورم حيث أمر منكوخان بقتله[٧١] . ثم اتجــه

---

(٧١) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ، ص ٢٥٨ ، ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣١٢—٣١٣ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٣٨٣ ، هامش ٣ نفس الصفحة . ، د. سعيد عاشور : الحركة جـ٢ ص ١١١٤ — ١١١٥ ، د. الصياد : المغول جـ ١ ص ٢٤٢—٢٤٤ .

Ata Malik, op. cit., vol. II, pp. 618—636, 724—725;

وأنظر ايضا : د. عبد السلام عبد العزيز فهمى : مرجع سابق ص ١١١—١١٥ .

ويذكر المؤرخون أن أهل قزوين وبلاد الجبل الذين وفدوا على منكوخان بعد تنصيبه خاقانا قد اشتكوا ما نزل بهم من الاسماعيلية ، وأن حملة هولاكو على بلاد الاسماعيلية وقلاعها كانت استجابة لذلك . وكانت طائفة الاسماعيلية بدورها قد شعرت مبكرا بخطر المغول ، فاتصــلت بالغــرب الأوروبى طلبـــا للمســاعدة ، وذهب سفير من قبلهم الى انجلترا وفرنسا فى سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨م ، لكن السفير لم يتلق ردا مشجعا ، اذ كان الغرب الأوربى — كما عبر عنه اسقف مانشستر — يطمع آنذاك فى أن يهلك الطرفان المغـــولى والاسلامى بعضهما البعض ليتم تشييد الكنيســة الكاثوليكية على انقاضهما . ومما قاله أسقف مانشستر :

« Let these dogs devour each other and be utterly wiped out, and then we Shall see, Founded on their ruins, the Universal Catholic Church, and then shall truly be one Shepherd and one Flock ».

انظــر :

Browne, Aliterary History of Persia, vol. III. p. 6;

المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٣٨٣ هامش ٤ ، د. الصياد : المغول جـ ١ ص ٢٣٤—٢٣٥ .

هولاكو الى همدان التى وصلها فى رجب سنة ٦٥٥ هـ/١٢٥٧ م وقد بيت النية على مهاجمة العراق بعد أن تلقى تقارير من عملائه فى بغداد والمدن الأخرى للوقوف على حقيقة الأمر قبل الهجوم الكبير(٧٢) • وكان مسرح الأحداث السياسية فى منطقة الشرق الأوسط مهيئا تماما القائد المغولى كى يضرب ضربته الكبرى ضد الخلافة العباسية ؛ فالمنطقة من ايران حتى حدود العراق قد أصبحت خاضعة تماما للمغول ، والخليفة العباسى المستعصم بالله غارق فى لهوه غير مدرك جسامة الخطر(٧٣) ، والفوضى ضاربة فى بغداد بسبب الفتن بين السنة والشيعة وفساد العيارين(٧٤) ، ثم ازدادت أمور الخلافة سوءا واضطرابا عند اقتراب هولاكو من بغداد، ووقع الخليفة لضعفه فريسة الخلافات فى الرأى بين وزيره ودواداره(٧٥) •

---

(٧٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٣٩٩—٤٠٠ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ٦ ص ١١٠٥ •

(٧٣) السيوطى : مصدر سابق ص ٤٦٦ ، ابن كثير : مصدر سابق جـ ١٣ ص ٢٠٠ •

(٧٤) أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ١٩٣ ، اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص ٨٦ ، رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٦٢—٢٦٤ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ص ١١٠٥ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٣٧٦ ، خصباك : مرجع سابق ص ٢١—٢٥ •

(٧٥) روى المؤرخون أن المستعصم عندما علم بحركة هولاكو ناحية العراق شاور وزيره ابن العلقمى ، فأشار عليه ببذل الأموال والتحف الكثيرة الى هولاكو ، فلما شرع فى ذلك أثناه عن رأيه الدوادار مع غيره من الأمراء وقالوا له : ان غرض الوزير تدبير حاله مع السلطان — أى هولاكو — فوافقهم الخليفة واقتصر الأمر على ارسال الشىء اليسير ، انظر : ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣١٩ ، ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٧١—٤٧٢ •

أما فى مصر فقد دخل الصراع على السلطة فيها دورا مثيرا بعد موت الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩ م ، فالانتصار الذى تحقق على الصليبيين الفرنسيين فى المنصورة سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠ م والذى لعب المماليك البحرية فيه دورا كبيرا أتاح لهؤلاء المماليك المشاركة فى الأحداث السياسية فى مصر بصورة مباشرة لم تكن متاحة لهم من قبل .
وفى خلال السنوات القليلة التى تلت معركة المنصورة أصبح المماليك هم صانعو الأحداث السياسية الكبرى فى مصر ، فقتلوا المعظم تورانشاه ، وشاركوا فى قتل عز الدين أيبك وشجر الدر ، ثم انقسموا فرقا شتى : منهم الصالحية مماليك الصالح أيوب الذين سعوا الى تولية علم الدين سنجر الحلبى فى الحكم ، ومنهم المعزية مماليك عز الدين أيبك الذين تعصبوا لنور الدين على ابن استاذهم . وقد انتهى الصراع بفوز المعزية، فقبضوا على الأمير سنجر ، وتشتتت مماليكه وخشداشيته الى الشام ، وكانت طوائف مملوكية أخرى مثل المماليك البحرية قد هربت الى الشام بعد قتل زعميها أقطاى فى عهد عز الدين أيبك . وقد سعى الهاربون الى استعداء الملوك الأيوبيين فى الشام لا سيما الملك المغيث عمر حاكم الكرك، وحرضوه على الاستيلاء على مصر ملك آبائه وأجداده حتى استجاب لدعوتهم . واشتركت قواته مع المماليك البحرية فى الهجوم على مصر فى ذى القعدة من عام ٦٥٥ هـ/ديسمبر ١٢٥٧ م ، غير أن الهزيمة لحقت بهم جميعا عند الصالحية على يد قوات مصر ، ثم كرر الملك المغيث المحاولة بنفسه بالاشتراك مع المماليك البحرية بزعامة بيبرس البندقدار أوائل عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م ، الا أنه فشل فى هجومه ولحقت به الهزيمة بالقرب من غزة على يد قطز نائب السلطنة فى مصر ، فلاذ المغيث بالفرار مع بيبرس البندقدار الى الكرك ، ثم ان الناصر يوسف الأيوبى حاكم دمشق وحلب انغمس أيضا فى هذا الصراع ودخل فى حرب مع المماليك البحرية

الذين هاجموا دمشق(٧٦) • وهكذا أصبح بامكان هولاكو فى ظل الأوضاع السياسية والعسكرية المتدهورة فى القوى الاسلامية آنذاك أن يضرب ضربته الكبرى فى بغداد ، وأن يواصل الزحف منها غربا لتنفيذ باقى المهمة التى عهد اليه الخاقان الكبير بتنفيذها ، وهى الوصول بقوات المغول حتى مصـــر •

سـقوط بغداد فى يد المغول :

وأرسل هولاكو الى الخليفة المستعصم فى العاشر من رمضـــان سنة ٦٥٥ هـ/١٢٥٧ م رسالة تهديد يدعوه فيها الى تقويض حصون بغداد وأسوارها ، وأن يسلم المدينة ، وأن يحضر بنفسه ، أو يبعث اليه احدى الشخصيات الكبيرة فى بغداد مثل الوزير أو الدوادار • واحتج هولاكو على الخليفة فى عدم ارساله المساعدات التى طلبها هولاكو أثناء حصاره قلاع الاسماعيلية (٧٧) • ولم يشأ الخليفة أن يظهر بمظهر الضعف أمام

---

(٧٦) اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص ٥٢ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩١—٩٢ ، ابن أيبك الدوادارى : مصدر سابق ص ٣٠—٣٢ ، ابو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ١٧٩ — ١٨٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ • بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ تحقيق د• زبيدة عطا رسالة دكتوراه لم تنشر ، كلية الآداب جامعـة القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٣ ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ص ٤٦ — ٦١ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ٤١—٤٧ ، العينى: عقد الجمان مجلد ٢٢ ص ٥٧ — ٥٨ ، د• سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٢٣—٢٥ ، د• سعيد عاشور أيضا : الحركة جـ ٢ ص ١١٣٣ ،
Lane Poole,s., Ahistory of Egypt, pp. 259—261.

(٧٧) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٦٧—٢٦٩ ، انظر رواية الطوسى عن تلك المراسلات كما نشرها Boyle فى :
Boyle, J. A., The death of Last Abbasid Caliph, p. 159—160, in «Journal of Semitic Studies» vol., VI, 1961.

وانظر ايضا اشارات مختصرة عن ذلك الموضوع فى : ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٣٢٠ ، ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٧٢ . الصياد : المغول جـ ١ ص : ٢٥٥ — ٢٥٨ ، الصياد : مؤرخ المغول رشيد الدين ص ٣٢ - Howorth, op. cit, III, p. 116.

هولاكو . فرد برسالة تحمل معنى النصيحة واللين وتطلب من هولاكو العودة الى خراسان . وتذكره بالآلاف من اتباع الخليفة من الشرق الى الغرب الذين يمكن حشدهم ساعة القتال • ولا شك أن المستعصم أراد تخويف هولاكو بقوة وهمية ، فلم يزد ذلك هولاكو الا اصرارا على عقاب الخليفة • وزاد من غضب هولاكو قيام أهل بغداد باهانة رسله ، فمزقوا ثيابهم . وبصقوا فى وجوههم مما لم يترك مجالا للتفاهم ، عندئذ غضب هولاكو وقال : « ان الخليفة ليست لديه كفاءة قط ، اذ أنه معنا كالقوس الأعوج • فلو أمدنى الله الأزلى بعونه، فسوف أجعله مستقيما كالسهم »[٧٨]

ودبت الخلافات فى بلاط الخليفة بين كبار مستشاريه ، فأشار الوزير ابن العلقمى بارسال التحف والهدايا الكثيرة والأموال الى هولاكو ، وأن تكون الخطبة والسكة باسمه ؛ فى حين قال الدوادار الصغير للخليفة : « ان الوزير دبر هذه الحيلة لمصلحته الخاصة لكى يتقرب زلفى الى هولاكو . ويلقى بنا نحن الجنود فى البلاء والمحنة ؛ ولكننا سوف نرقب مفارق الطرق ونلقى القبض على الرسل ، ونأخذ ما معهم من أموال ، وندعهم فى العذاب والعناء » ؛ فعدل الخليفة عن ارسال الهدايا والأحمال الى هولاكو . وأرسل الى الوزير مفاخرا بقوة الخلافة العباسية قائلا له « فقو قلبك ولا تخافن تهديد المغول ووعيدهم ، فانهم رغم كونهم أرباب دولة وأصحاب شوكة الا أنهم لا يملكون سوى الهوس فى رؤوسهم ، والريح فى أكفهم » • وادعى الخليفة وجود علاقة صداقة بينه وبين هولاكو ومنكوخان[٧٩] •

وترددت الرسل بين الجانبين . والخليفة يماطل ويتعلل ، ويرسل الهدايا الصغيرة الى هولاكو ، وعندما أيقن الخليفة تصميم المغول على

---

(٧٨) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٦٧ — ٢٧٠ ،
Howorth, op. cit., III, p. 117;

وانظر ايضا : د. سعيد عاشور : الحركة جـ ٢ ص ١١١٧ .

(٧٩) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٧١ — ٢٧٣ .

الزحف الى بغداد أرسل سفيره ابن الجوزى حاملا رسالة الى القائد المغولى تفيض بالوعد والوعيد وتطلب منه فى نفس الوقت العودة والتراجع . واقترح الخليفة فى رسالته أن يبعث الى هولاكو كل ما طلبه المغول من أموال ، فأدرك الفاتح المغولى عندئذ أن الخليفة يريد كسب الوقت الى أن يتمكن من تدبير الجيوش فقال لرسول الخليفة « وكيف نترك زيارة الخليفة بعد كل ما قطعناه من هذا الطريق ، سوف نعود باذنه بعد الحضور للقائه والتحدث معه »[٨٠] .

ووضع هولاكو خطته على أساس مهاجمة بغداد من أكثر من ناحية ، وساعده على ذلك كثرة قواته التى بلغت ما بين مائة وخمسين ألفا الى مائة وسبعين ألف جندى[٨١] . فأمر القائد سوغو نجاق فى شوال سنة ٦٥٥هـ/أكتوبر نوفمبر ١٢٥٧ م بقيادة فرقة من الجيش المغولى والسير بها عن طريق اربل وعبور نهر دجلة والاجتماع مع قوات القائد بايجو غربى النهر[٨٢] . أما القائد كيتوبوقا فسار عبر طريق لرستان — عبر خوزستان — هذا فى حين زحف هولاكو بقلب الجيش المغولى عن طريق

---

(٨٠) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ص ٢٨٢ ،
Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 347.

(81) J. M. Smith, Mongol Manpower and Persian Population, p. 277. in «JESHO» vol. XVIII, 1975;

وتذكر المصادر العربية ان قوات هولاكو بلغت حوالى مائتى الف رجل . انظر : ابن ايبك : مصدر سابق ص ٣٤ . ابن كثير : مصدر سابق ج ١٣ ص ٢٠٠ .

(٨٢) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣٢٠ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٧٢ ، السبكى : مصدر سابق ج ٨ ص ٢٧٠ . وانظر أيضا رواية الطوسى فى :

Boyle, The death.., p. 153—154.

خرمنشاه ونهر حلوان(٨٣) . واستعان المغول فى زحفهم ببعض الأسرى من طلائع جيش الخليفة الذين قبض على بعضهم وأجبروا على العمـــل كمرشدين لطلائع قوات المغول(٨٤) ، هذا فضلا عن الامدادات التى قدمها لهم بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل . وأبو بكر أتابك فارس(٨٥) ، كما اشترك فى الهجوم على بغداد أيضا مع المغول قوات من الجورجيين والأرمن(٨٦) . وفى التاسع من المحرم سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨ م عبرت قوات المغول نهر دجلة وأوقعت الهزيمة بجيش الخليفة الذى كان يقوده الدوادار مجاهد الدين أيبك . كما فتح المغول سد أحد الأنهار الموجودة بالمنطقة ، فغمرت الميـــاه كل الصحراء الواقعة خلف جيش بغداد ، فقتل عدد كبير من قوات الخليفة وبعض قادته فضلا عما غرق أو قضى نحبه فى الوحل ، فى حين هرب الدوادار فى نفر يسير وعاد الى بغداد ، كما تفرق باقى الجند الى الحلة والكوفة(٨٧) .

وتدفقت جيوش المغول كالنمل والجراد من كل جهة وناحية لحصار بغداد . ففى الوقت الذى أحكم سونجاق وبايجو الحصار من ناحية غرب

---

(٨٣) رشيد الدين : جامع مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ . ،

Grousset, l'empire des Steppes, p. 429; Boyle, The death..., p. 154.

(٨٤) رشيد الدين : جامع مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٨٢ ،

Boyle, The death.., p. 154—155.

(٨٥) ابن كثير : مصدر سابق جـ ١٣ ص ٢٠٠ ، الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين : ص ٣٥ .

(٨٦) بيبرس الدوادار : مصدر سابق جـ ٩ ص ١٦ . ،

Gir Gor of Akanc, op cit., p. 65; Grousset, L'empire des steppes. p. 430; Boyle, The death... p. 149.

(٨٧) رشيد الدين : جامع مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٨٥—٢٨٦ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ٣٠٠ . ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

المدينة ، كان هولاكو قد نزل فى الجهة الشرقية منها فى ١١ المحرم سنة ٦٥٦هـ/يناير ١٢٥٨ م • وعبثا حاول الخليفة استرضاء هولاكو وتلبية طلباته السابقة ، وأصر هولاكو على اقتحام بغداد ؛ وبنى حولها سورا وضع عليه المجانيق والعرادات وآلات الحصار ، كما سد المغول منافذ الهرب من المدينة سواء بالبر أو عن طريق النهر • وهكذا وجد الخليفة نفسه محاصرا من كل الجهات ، فلم يجد بدا من الاستسلام ؛ فخرج فى الرابع من صفر سنة ٦٥٦هـ/١٠ فبراير ١٢٥٨ م ومعه ثلاثة آلاف من أتباعه ومعه الأئمة والقضاة للقاء هولاكو(٨٨) • ثم اندفع المغول الى داخل المدينة دون مقاومة تذكر ، ووضعوا السيف فى سكانها وأحرقوا الأخضر واليابس فيها واستولوا على ما جمعه الخلفاء العباسيون خلال خمسة قرون ، وأشعلوا النار فى جامع الخليفة وقبور الخلفاء ، ثم قتلوا الخليفة نفسه واثنين من أبنائه(٨٩) •

---

(٨٨) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٨٨—٢٩١ • ؛

Boyle, The death..., p. 159.

(٨٩) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٢٩١—٢٩٤ •

وقد أجمعت المصادر العربية على انه لم يطلع احد على كيفية قتل الخليفة ، فقيل انه خنق ، وقيل انه وضع فى عدل ورفس حتى مات تجنبا لسفك دمه ، وقيل غرق فى نهر دجلة •

انظر : المقريزى : السلوك جـ١ ق٢ ص٤٠٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ٥٠—٥١ ، أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ١٩٤ ، ابن الفوطى : مصدر سابق ص٣٢٧ ، ابن أيبك الدوادار : مصدر سابق ص ٣٦ ، السبكى : مصدر سابق جـ ٨ ص ٢٧١ ، اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص ٨٩ •

اما المصادر الأرمينية والجورجية فقد اشار بعضها الى أن هولاكو هو الذى قتل الخليفة بيده ، وبعضها اشار الى أن احد قادة المغول هو الذى ضرب الخليفة بالسيف • انظر :

Boyle, The death..., p. 149—150; Howorth, III, p. 128.

وظل هولاكو وجنوده يمارسون القتل العام فى المدينة ، فلم يسلم أحد الا من كان فى الآبار والقنوات ، ولم يستطع هولاكو نفسه البقـاء فى بغداد فترة طويلة لعفونة الهواء بعد أن وقع الوباء فى باقى سكان المدينة الذين سلموا من القتل ، ويقال بأن عدد القتلى قد وصل الى أكثر من ثمانمائة ألف نفس[٩٠] • ولم يكتف المغـول بالمذابح التى أحدثوها فى بغداد ، بل دمروا أيضا الكتب العربية التى كانت فى قصور الخـلافة العباسية ، وألقوا بها فى نهر دجلة[٩١] ، ثم جمع نصير الدين الطوسى

=

كما اشارت بعض المصادر الفارسية والأرمينية الى مقابلة تمت بين هولاكو والخليفة ، وقد طلب هولاكو من الخليفة ان ياكل من الأموال والكنوز التى كانت فى خزائنه ، وعندما قال له الخليفة انها لا تؤكل رد عليه هولاكو قائلا : « اذن لمـاذا لم تنفقها على الجنود وتحصن بغداد وتاتى الى النهر لتمنعنى من عبوره » ، عندئذ قال الخليفة : انهـا مشيئة الله ، فـرد عليه هولاكو بأن ما سيحدث سيكون مشيئة الله ايضا ، انظر :

Boyle, The death.., p. 159; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 348—349; Grigor of Akanc, History of the nation of the archers, «The Mongols», p. 65—67.

(٩٠) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣٣١ ، رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٧ • وفى رأى جروسيه Grousset ان القتلى حوالى تسعين الفا ، وأن الأرقام التى ذكرها المؤرخون العرب تحتوى على كثير من المبالغة ، ويؤيده فى ذلك د. خصباك مشيراً الى أن بغـداد كانت صغيرة المساحة آنذاك ، وان الخراب قد دب فيها قبل الغزو المغولى • انظر :

Grousset, l'empire des steppes, p. 429;

خصباك : العراق فى عهد المغول الايلخانيين ص ٥٦ •

ومن المصادر العربية انظر : المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٠٩— ٤١٠ ، ابن خلدون : كتاب العبر ج ٦ ص ١١٠٦ ، ج ١٠ ص ١١٥٠ ، السبكى : مصدر سابق ج ٨ ص ٢٧١ •

(٩١) ابن خلدون : مصدر سابق ج ٦ ص ١١٠٦ ، ج ١٠ ص ١١٥٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ٧ ص ٥١ •

فيما بعد بقية الكتب من العراق ونقلها الى مرصده فى المراغة(٩٢) . أما الوزير ابن العلقمى فنال مكافأة خيانتـه للخليفة ، اذ بقى فى منصب الوزارة ، لكن فى رتبة ساقطة فى نظر المغول(٩٣) ، وقد أشـار على هولاكو باقامة خليفة فاطمى فى بغداد لكن هولاكو لم يستمع لرأيه(٩٤) .

ونظرا للعلاقات الودية التى كانت قائمة بين المغول والقوى المسيحية فى المنطقة ، فقد ظهر عطف هولاكو على المسيحيين فى بغداد ، فتمتعوا بالأمان الشامل بفضل رعاية دوقوز خاتون زوجـة هولاكو التى كانت مسيحية(٩٥) ، وبفضل الجورجيين والأرمن الذين اشتركوا مع هولاكو فى الهجوم على بغداد . ثم أن أحد قادة المغول وهو كيتوبوقا كان مسيحيا نسطوريا ، فظهرت حملة هولاكو كأنها تحالف مغولى صليبى ضـد الاسلام والمسلمين(٩٦) ، فكان طبيعيا ان تظهر رنة الفرح لدى المسيحيين فى الشرق ، وهى التى عبر عنها المؤرخ الأرمنى كيراكوس Kirakos فى كتاباته وكان معاصرا للحملة(٩٧) . وكان هولاكو قد عين لحمـاية

---

(٩٢) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣٥٠ ، ابن كثير : مصدر سابق ج ١٣ ص ٢١٥ .

(٩٣) ابن خلدون : مصدر سابق ج ١٠ ص ١١٥٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ٧ ص ٥٠ ، الدياربكرى : مصدر سابق ص ٣٧٧ .

(٩٤) اليونينى : مصدر سابق ج ١ ص ٩٠—٩١ .

(٩٥) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ص ٢٢٠—٢٢١ ؛ Grousset, L'empire des steppes, p. 431—432; Howorth, 111, p. 129; د. سعيد عاشور : الحركة ج ٢ ص ١١٢٠ .

(96) Grousset, L'empire des steppes, p. 429; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 342; Grousset, Histoire de L'Asie, Tome 111, Le Monde Mongole, p. 100.

(٩٧) ومن عباراته : « أن بغداد منذ تأسيسها قد التهمت كل العالم كنهم لا يشبع ، وقد لاقت عقابها عن كل الدماء التى سفكتها والشرور التى ارتكبتها .. » . انظر : Boyle, The death..., p. 145—146; Grousset, L'empire des steppes, p. 430.

المسيحيين حراسا يحرسون بيوتهم ، فالتجأ اليهم عدد من المسلمين فنجوا[٩٨] ، كما منح هولاكو أيضا بطريرك بغداد المسمى ماكيخا Makiha قصر الدويدار الكبير الواقع على شاطىء نهر دجلة ، فسكنه البطريرك ودق الناقوس فى أعلاه ، ثم استولى على المناطق المجاورة للقصر[٩٩] ، كما أظهر المغول عطفا ورعاية للتجار الذين كان بينهم وبين المغول علاقات سابقة وكتبوا لهم أمانا ، وأرسلوا لهم من يحرس دورهم[١٠٠] .

وترتب على سقوط بغداد فى يد المغول نتائج خطيرة على مسرح الحياة السياسية للعالم الاسلامى . لقد تواضعت بغداد من قبلة العالم الاسلامى حيث مقر الخليفة لتصبح مجرد عاصمة اقليمية[١٠١] ، وتكرس التفكك بين أقطار العالم الاسلامى . حقيقة كانت الخلافة العباسية قد أصابها الوهن منذ زمن طويل ، لكنها كانت رمز الوحدة السياسية والدينية للمسلمين فى ذلك العصر . ثم ان اتلاف المغول لآلاف الكتب العربية فى بغداد وقتل العلماء والأدباء والمفكرين المسلمين وتشتيت الباقى منهم أدى الى خسارة

---

(٩٨) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣٢٩ ، ابن كثير : مصدر سابق ج ١٣ ص ٢٠٢ ، خصباك : مرجع سابق ص ٥٤ .

(٩٩) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣٣٣ — ٣٣٤ ،

Grousset, L'empire des steppes, p. 430; Histoire de L'Asie Tome 111, Le Monde Mongole, p. 101.

(١٠٠) ان كثير : مصدر سابق ج ١٣ ص ٢٠٢ ، عباس عزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين جا ص ٣٨ .

(١٠١) براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ترجمة د. ابراهيم امين الشواربى ص ٥٦٤ ..

Cl. Cahen, Bagdad au temps de ses derniers caliphs, p. 302, in «Arabica IX 1962».

فادحة فى الثقافة الاسلامية • غير أن عددا كبيرا من العلماء والأدباء وأصحاب الحرف قد تمكنوا من الهرب من بغداد الى القاهرة فأثروا الحياة الثقافية فيها، وانتقل بذلك مركز الزعامة الفكرية فى العالم الاسلامى من بغداد الى القاهرة ، فساعد على اقتراب العالم الغربى من الحضارة الشرقية والحصول على ثقافة الشرق وعلومه بحكم قرب الغرب من القاهرة أكثر من بغداد(١٠٢) • والواقع أن سقوط بغداد فى يد المغول وقيام دولة ايلخانات فارس منذ عهد هولاكو قد أدى الى عملية انقسام فى الثقافة الاسلامية ، فاختلفت الثقافة التى سادت شرقى دجلة عن تلك التى سادت فى غربه ، ففى الشرق اتسعت دائرة الثقافة الفارسية ، كما نشأ التدوين التاريخى باللغة الفارسية ، ويتضح ذلك من سلسلة التواريخ المتميزة التى استهلها علاء الدين عطا ملك جوينى المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٣م(١٠٣)، هذا فى حين أصبحت أهمية اللغة العربية فى فارس تكاد تكون قاصرة على البحوث الدينية والفلسفية • أما فى غرب دجلة فقد تركزت دراسات اللغة العربية وثقافتها لا سيما مصر التى أصبحت المركز الرئيسى لهذه الدراسات(١٠٤) •

---

(١٠٢) د• أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى ص ١٤٨ •.

ولا يمكن الموافقة على رأى بارتولد بأن نتائج الغزو المغولى للعالم الاسلامى لم تكن سيئة بدرجة كبيرة ، أو أن المغول قد أوجدوا فى البلاد التى استولوا عليها فى العالم الاسلامى استقرارا سياسيا لم يكن موجودا من قبل، أو أن ايران فى العهد المغولى قد وصلت الى الصف الأول من حضارة العالم • انظر : بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ترجمة حمزة طاهر ص ١٢٥ — ١٣٠ •

(١٠٣) للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر :

هاملتون جب : دراسات فى حضارة الاسلام ، ترجمة د• احسان عباس، د• محمد يوسف نجم : محمود زايد ، ص ١٧٢ — ١٧٣ •

(١٠٤) براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ص ٥٦٤ ، د• أحمد مختار العبادى : مرجع سابق ص ١٤٨ ، د• الصياد : المغول جـ ١ ص ١٥ •

الفصل الثانى

المغول والمماليك فى عين جالوت

- هولاكو والقوى الاسلامية بعد سقوط بغداد ·
- الموقف السياسى فى مصر ·
- استيلاء المغول على حلب ودمشق ·
- وفاة خاقان المغول وعودة هولاكو ·
- هزيمة المغول فى عين جالوت ونتائج المعركة ·

الفصل الثانى

المغول والمماليك فى عين جالوت

كان الموقف السياسى والعسكرى بعد استيلاء هولاكو على بغداد يحتم على القوى الاسلامية سرعة توحيد صفوفها وتناسى خلافاتها وانهاء صراعاتها وأحقادها ، بل والمبادرة بحشد كافة الامكانيات المتاحة لمواجهة ذلك الخطر الداهم ؛ غير أن المصالح الشخصية البحتة والنظرة السياسية الضيقة ظلت تتحكم فى سياسة حكام المسلمين فى تلك الفترة . فما أن ضرب هولاكو ضربته فى بغداد ثم عاد الى اذربيجان استعدادا للاستيلاء على المزيد من البلاد الاسلامية حتى هرع اليه فى معسكره فى المراغة بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل بنفسه وقدم ولاءه له ، وكذلك أتابك فارس أبو بكر الذى أرسل ابنه سعد لتهنئة القائد المغولى لاستيلائه على بغداد، كما ذهب الى هولاكو أيضا سلطان سلاجقة الروم كيكاوس الثانى وأخوه قلج أرسلان الرابع[1] . أما الناصر يوسف الأيوبى حاكم الشام فقد رأى فى انتصار هولاكو واستيلائه على بغداد فرصة سانحة لتحقيق أطماعه ؛ فأسرع بارسال ابنه الملك العزيز الى القائد المغولى طالبا منه النجدة ليأخذ مصر من المماليك . وقد تظاهر هولاكو بالموافقة على طلبه وأمر بأن يرسل له عشرين ألف فارس ، لكنه اشترط فى نفس الوقت على الناصر الدخول فى طاعته دون قيد أو شرط ؛ اذ أرسل اليه رسالة

---

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٠٠ــ٣٠١ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ١٩٧ــ١٩٨ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٨٢ــ٤٨٦ ،

Grousset, L'empire des steppes, p. 433; Cambridge History of Iran, volume, 5, p. 349.

يقول فيها « اذا وقفت على كتابى هذا فسارع برجالك وأموالك وفرسانك الى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه .. تأمن شره وتنل خيره .. ولا تعوق رسلنا عندك كما عوقت رسلنا من قبل ، فامساك بمعـروف أو تسريح باحسان ، وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم الى كروان سراى ، فان كانوا فى الجبال نسفناها ، وان كانوا فى الأرض خسفناها ... »(٢) . فلما سمع المماليك البحرية الذين كانوا قد هربوا من مصر الى الشام واستقروا عند الناصر يوسف بخبر قرب وصـول جيش مغولى لمساعدته فارقوه الى الملك المغيث عمر بالكرك وحرضوه على الاستيلاء على مصر . غير أن الهزيمة لحقت بالملك المغيث وحلفائه المماليك البحرية على يد الأمير قطز نائب السلطنة فى مصر عند الصالحية(٣) .

وفى الوقت الذى ازدادت فيه الخلافات بين أبناء البيت الأيوبى فى بلاد الشام حتى وقعت الحرب بين الناصر يوسف حاكم دمشق وحلب وبين المغيث عمر حاكم الكرك فى عام ٦٥٧ هـ/١٢٥٩ م حيث لحقت الهزيمة بالمغيث عمر بالقرب من أريحا(٤) . فى ذلك الوقت كان هولاكو قد أتم

---

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دولة الملوك ج ١ ق ٢ ص ٤١٠ـ٤١١ ، ٤١٥ـ٤١٦ ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ص ١٣٨ .

وفى رواية اخرى لابن العبرى ان هولاكو شك فى ولاء الناصر له فارسل اليه رسالة قال فيها « نحن للملك الناصر طلبنا لا لولده ، فالآن ان كان قلبه صحيحا معنا يجىء ، والا فنحن نمشى اليه » فازداد جزع الناصر وقلقه ولم يستطع الذهاب لان الأمراء منعوه . انظر : ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٨٤ـ٤٨٥ ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٣٣٩ .

هذا والمقصود بكروان سراى الواردة فى المتن هى مصر ، انظـر : المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق٢ ص ٤١٦ هامش (٣) .

(٣) المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤١١ . بيبرس الدوادار زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ج ٩ تحقيق د. زبيدة عطا ، رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب جامعة القاهر ١٩٧٢ م . مجلد ١ ص ١٣ .

(٤) المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤١٤ .

خطته للزحف على بلاد الشام بمشاركة هيثوم ملك أرمينيا ومباركة البطريرك الأرمنى • ثم تحركت قوات المغول من معسكراتها فى اذربيجان فى رمضان سنة ٦٥٧هـ/سبتمبر ١٢٥٩م وكان على طليعتها كيتوبوقا ، فى حين قاد الجناح الأيمن بايجو وسنقور ، كما قاد الجناح الأيسر سوغو نجاق • أما القلب فكان بقيادة هولاكو شخصيا تصحبه زوجته المسيحية دوقوز خاتون[٥] •

ودخل هولاكو منطقة الجزيرة ، فاستولى على نصيبين ثم حران ثم الرها . كما قتل سكان ساروج الذين قاوموه[٦] ، وأرسل ابنه اشموط على رأس قوات من المغول للهجوم على ميافارقين ، واشترك مع أشموط فى الهجوم فرق عسكرية من الأرمن والجورجيين[٧] • ومع أن الناصر يوسف رفض تقديم المساعدات التى طلبها الملك الكامل الأيوبى حاكم ميافارقين[٨] ، الا أن حصار المغول لهذه المدينة قد طال لاستماتة حاكمها فى الدفاع عنها حتى قبض عليه المغول وقتلوه ، عندئذ اجتاح المغول المدينة وذبحوا عددا كبيرا من سكانها المسلمين ، فى حين نجا المسيحيون ، واحترمت كنائسهم وآثارهم المقدسة[٩] •

---

(5) Grousset, L'empire des steppes, p. 435;

وانظر ايضا : رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٠٥ .

(٦) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣٤٠ ،
Grousset, L'empire des steppes, p. 435.

(7) Grousset, L'empire des steppes, p. 434—435.

(٨) ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٨٣ ، رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٢٢ .

(٩) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٠٦ ، ٣١٩—٣٢٣ ، ابن خلدون : كتاب العبر جـ ١٠ ص ١١٥٠ ، بيبرس الدوادار : مصدر سابق مجلد ١ ص ٢٤ ، د. الصياد : المغول فى التاريخ جـ ١ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ ،
Grousset, L'empire des steppes, p. 434.

وعندما كان حصار ميافارقين جاريا كان هولاكو يتقدم فى اتجاه مدن الشام الرئيسية ، فعبرت قواته الفرات على ثلاثة جسور أمر هولاكو باقامتها بالقرب من ملطية وقلعة الروم والبيرة(١٠) • وما أن وصلت تلك الأخبار الى حلب حتى سيطر الفزع على سكانها ، وهــرب أكثرهم الى دمشق(١١) ، فاسقط فى يد الناصر وأدرك خطأ اتصاله بأعداء المسلمين من المغول ، وأراد تحسين صورته أمام العالم الاسلامى ، فأرسل الى القاهرة رسالة طلب فيها من الأمير قطز المساعدة العسكرية لمواجهــة العــدو المشترك(١٢) •

واستغل الأمير قطز الذى اشتهر بذكائه ودهائه الموقف لصالحه ؛ فعقد مؤتمرا فى القلعة حضره قاضى القضاة بدر الدين حسن النجارى والشيخ عز الدين بن عبد السلام • وبعد أن عرض قطز الموقف العسكرى على أعضاء المؤتمر أراد أخذ فتوى من الشيخين بجواز أخذ أموال العامة لانفاقها على الجيش الذى يجرى اعداده لقتال المغول • وهنا وقف الشيخ عز الدين بن عبد السلام موقفا جريئا ، اذ رفض اصدار مثل تلك الفتوى الا اذا تساوى المماليك مع عامة المواطنين المصريين فى النفقات • وكان

---

(١٠) ابن الفوطى : مصدر سابق ص ٣٤٠ •

(١١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٤—٧٥ ، أبو الفداء : مصدر سابق ج ٣ ص ١٩٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب مخطوط ج ٢ ورقة ١٢٤٦ •

(١٢) ابن تغرى بردى : مصدر سابق ج ٧ ص ٧٢—٧٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢١٥ ، المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤١٦ ، د• سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٢٢—١١٢٣ • د• سعيد عاشور ايضا : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٢٦ •

مما قاله لقطز : « اذا لم يبق فى بيت المال شىء ، وانفقتم الحوائص الذهب ونحوها من الزينة ،وساويتم العامة فى الملابس سوى آلات الحرب . ولم يبق للجندى الا فرسه التى يركبها ساغ أخذ شىء من أموال النـــاس فى دفع الأعداء ؛ الا انه اذا دهم العدو وجب على الناس كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم »[١٣] • وبعد أيام قليلة قام قطز بالقبض على الملك المنصـــور على وعزله من منصب السلطنة بحجة صغر سنه وعجزه عن دفع الأعداء، لأن البلاد فى حاجة الى سلطان قاهر يستطيع تدبير أمور المملكة وقتال العـــدو[١٤] •

والواقع أن قطز قد أظهر دهاء وحنكة سياسية فى سبيل توحيد كلمة المسلمين فى مواجهة المغول ، وقد نجح فى ذلك نجاحا ملحوظا ، وكان على قطز بعد أن عين نفسه سلطانا أن يرضى كبار الأمراء الذين خشوا من زيادة نفوذه ، وأعربوا عن احتجاجهم على خلع المنصور على ، لكن قطـــــز بدبلوماسيته الهادئة طمأنهم بقوله « وانى ما قصدت الا أن نجتمع على قتال التتر ، ولا يتأتى ذلك بغير ملك ، فاذا خرجنا وكسرنا هذا العـــدو فالأمر لكم أقيموا فى السلطنة من شئتم »[١٥] ، فلما سكن الأمراء لكلامه قبض على المشكوك فى ولائهم • أما الناصر فقد كتب اليه قطز كتـــابا ترقق له فيه ، وأقسم له بالأيمان أنه — أى قطز — لا ينازعه فى الملك

---

(١٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤١٦—٤١٧ • وانظر ايضا :

ابن تغرى بردى : مصدر سابق جـ ٧ ص ٧٢—٧٣ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق١ ص ٣٠١—٣٠٢ ، ابن واصل : مصدر سابق جـ ٢ ورقة ١٢٤٠—١٢٤١ ، ابن كثير : مصدر سابق جـ ١٣ ص ٢١٥—٢١٦ ، العينى : عقد الجمان مجلد ٢٢ مخطوط حوادث سنة ٦٥٧هـ ص ١٠٤—١٠٦ ، السيوطى: حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة جـ ٢ ص ٣٨ .

(١٤) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٠٣ ؛ أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ١٩٩ ، د. سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ص ٢٩—٣٠ ، د. سرور : دولة الظاهر ةبيبرس ص ٣٧ .

(١٥) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤١٧—٤١٨ .

ولا يقاومه ، وأنه بمثابة النائب عنه فى ديار مصر ، « ومتى حل بهـا أقعده على الكرسى » . وعرض قطز على الناصر الحضور بنفسـه الى الشام لخدمته ومساعدته فى صد المغول ، فان خشى الناصر منه أرسل له قطز أميرا آخر يختاره الناصر بنفسه لقيادة الجيوش ، عندئذ هدأت نفس الناصر واطمأن[١٦] . كما رحب قطز أيضا بعودة المماليك البحرية ، وبوجه خاص بالأمير الكبير بيبرس البندقدار ، فركب الى لقائه ، وأنزله فى دار الوزارة بالقاهرة تعظيما له ، وأقطعه قليوب وأعمالها[١٧] .

وواصل هولاكو وقواته التى كانت تدعمها قوات أرمينية بقيـادة هيثوم ملك أرمينيا وقوات صليبية بقيادة بوهمند السـادس ، واصل هؤلاء الحلفاء زحفهم على حلب وفرضوا عليها الحصار فى صفر سـنة ٦٥٨هـ/يناير ١٢٦٠م بعد أن رفض حاكمها المعظم تورانشـاه الأيوبى الاستسلام[١٨] . واستمر القتال حوالى ستة أيام حتى تمكن المغـول وحلفاؤهم من الاستيلاء على المدينة ، غير أن القلعة قاومت قرابة أربعين يوما ولم تسقط الا بعد أن أصيب عدد من قادة المغول[١٩] ، فانتقم هولاكو

---

(١٦) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤١٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ٧٣ ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٢ .

(١٧) أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ٢٠٠ ، ابن ايبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر جـ ٨ المعروف باسم : الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية ص ٤٩ ، اليونينى : الذيل جـ ١ ص ٣٦٥ ، ابن كثير : مصدر سابق جـ ١٣ ص ٢٢٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب مخطوط جـ ٢ ورقة ١٢٥٠ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٠ ، ٤٢٦ .

(18) Grousset, L'empire des steppes, p. 436; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 350;

المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٢ ، رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٠٦ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٢٠٣ ، ابن ايبك : مصدر سابق ص ٤٦ ، د. سعيد عاشور : الحركة جـ ٢ ص ١١٢٤ــ١١٢٥ ، د. عبد السلام فهمى : مرجع سابق ص ١٣٩ .

(١٩) رشيدالدين : جامع مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٠٦ ،
Grousset, L'empire des steppes, p. 436.

وجنـوده بأن أخربوا سور القلعـة وأحرقوا ما كان بهـا من الذخائر والزردخاناة والمجانيق ، وفى مدينة حلب ذاتها دخل ملك أرمينيا المسجد وقتل به خلقا كثيرا وأحرق الحائط القبلى منه ، كما امتدت النيران الى الأسواق والمدارس المجاورة مثل المدرسة الحلاوية وسوق البزازين(٢٠) ، هذا فضلا عن القتل العام الذى جرى فى المدينة برغم الأمان الذى منحـه هولاكو للسكان ، وقد أعطى هولاكو للملك هيثوم جزءا من الغنائم وأعاد له الأقاليم والحصون التى كان المسلمون قد انتزعوها منه قبل ذلك ، كما أعاد هولاكو أيضا الى بوهمند السادس أراضى امارة انطاكية التى سـبق أن استولى عليها المسلمون منذ أيام صلاح الدين(٢١) .

ولـا سمع أهالى دمشق بما جرى من مذابح فى حلب ، وعرفوا أن جميع نواحى بلاد الشام لا سيما حمص وحماه قد دخلت فى حوزة هولاكو ، دب الخوف فى قلوبهم وسيطر عليهم الفزع والاضـطراب . وأسرع الناصر يوسف الأيوبى بالهرب الى حدود مصر ، لكنه تراجع خوفا من قطز ، فقبض عليه المغول عند بركة زيزاء ، وظل أسيرا لديهم فترة حتى قتلوه بعد معركة عين جالوت(٢٢) ، ولما غدت مدينة دمشق دون قيادة ذهب وفد من سكانها لمقابلة هولاكو ومعهم الهدايا وسلموا له مفاتيح المدينة وأظهروا طاعتهم للقائد المغولى(٢٣) . ودخل كيتوبوقا دمشق ومعه قواته وكذلك الملك

---

(٢٠) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ج ١ ق ١ ص ٢٧ ، ٣٦ .

(21) Howorth, op. cit., 111, p. 148; Grousset, L'empire des steppes, p. 436; Grigor of Akanc, op. cit., p. 81;

وأنظر أيضا رواية الأمير صارم الدين وكان شاهد عيان للمعركة . فى : العبادى : قيام دولة المماليك الأولى ضميمة رقم ٣ ص ٢٥٩ ؛ د. الصياد : المغول ج ١ ص ٢٩٤ــ٢٩٥ .

(٢٢) أبو شامة : مصدر سابق ص ٢٠٣ــ٢٠٥ ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص : ٤٢٣ ، ٤٢٦ــ٤٢٧ . ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ٧ ص ٧٧ .

(٢٣) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلـد ٢ ج ١ ص ٣٠٧ــ٣٠٨ ، ابن كثير : مصدر سابق ج ١٣ ص ٢١٩ــ٢٢٠ ، .

Grigor of Akanc, op. cit., p. 81.

هيثوم والأمير بوهمند السادس[٢٤] ، وتولى حكم المدينة نواب من المغول يعاونهم ثلاثة من العرب[٢٥] . وأظهر المغول تحيزا واضحا للمسيحيين فى دمشق ضد المسلمين ، فتمادى المسيحيون بدورهم فى اظهار مشاعر العداء للمسلمين ، فحولوا بعض المساجد الى كنائس[٢٦] ، كما تجاهروا بشرب الخمر فى رمضان ورشوه على ثياب المسلمين فى الطرقات ، بل وصبوه على أبواب المساجد ، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام اذا مروا عليهم بالصليب . ولم يستمع نواب هولاكو لشكوى المسلمين بل أهانوهم، ولم يجد هؤلاء بدا من تقديم الرشاوى والهدايا الى المغول طالبا للسلامة[٢٧] .

وجدت أحداث كبرى فى حاضرة المغول استدعت عودة هولاكو بسرعة من مسرح العمليات العسكرية فى بلاد الشام ، اذ قدمت عليه الرسل وهو بحلب تخبر بوفاة أخيه القان الأعظم منكوخان فى الصين منذ سنة ٦٥٥هـ/أغسطس ١٢٥٧ م[٢٨] ، وبحدوث نزاع بين أخويه الآخرين قوبيلاى وأريق بوقا على ولاية العرش ، فأعلن الأول نفسه خانا فى

---

(24) Grousset, L'empire des steppes, p. 436; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 350—351.

(٢٥) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٠٧—٣٠٨ .

(26) G. Wiet, Histoire de la Nation Egyptienne, Tome IV, L'Egypte arabe, p. 409.

(٢٧) ابو شامة : مصدر سابق ص ٢٠٨ ، ابن كثير : مصدر سابق جـ ١٣ ص ٢١٩—٢٢٠ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ٨٠ ،

Grousset, L'empire des steppes, p. 437.

(٢٨) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٠٨ .

Howorth, op. cit., 111, p. 151; Grousst, L'empire Mongolc, p. 316; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, 351.

الصين ، ونصب الثانى نفسه فى منغوليا[٢٩] • ولما كان هولاكو يميل الى تأييد قوبيلاى فقد غادر الشام على أمل المشاركة فى ترشيحه[٣٠] ، وهناك عامل آخر دفع هولاكو الى مغادرة الشام على وجه السرعة وهو التهديد الذى واجهه من ناحية قريبه خان القفجاق المسمى بركة خان الذى اعتنق الاسلام ووجه اللوم الى هولاكو لارتكابه المذبحة فى بغداد[٣١] • وعلى ذلك غادر هولاكو حلب بعد أن كلف القائد كيتوبوقا بالمحافظة على الأراضى التى تم فتحها فى بلاد الشام • ويقال بأن الناصر يوسف قد هون على هولاكو قبل مغادرته حلب أمر الشام ، وصغر فى عينيه قوات المماليك ، فترك هولاكو مع كيتوبوقا اثنى عشر ألف فارس فقط[٣٢] •

---

(٢٩) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى تعريب د. احمد السعيد سليمان ص ١٨٨ ،

Grousset, L'empire des steppes, p. 437; Grousset, L'empire Mongole, p. 317—320; Bertold spuler, Les Mongols dans L'histoire, p. 39—42.

(30) Grousset, L'empire des steppes, p. 437;

د. الصياد : مؤرخ المغول رشيد الدين ص ٥١ .

(٣١) ذكر رشيد الدين أن بركة قال عن هولاكو : « انه قد دمر جميع مدن المسلمين ، وقضى على أسر ملوك الاسلام جميعهم ، ولم يميز بين الصديق والعدو ، وأعدم الخليفة دون مشورة كبار الأسرة ، فلو أمدنى الله تعالى لطالبته بدماء الأبرياء » . أنظر : رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ص ٣٣٢ . وانظر أيضا : د. الصياد : مؤرخ المغول ص ٥١ ،

Grousset, L'empire des steppes, p. 437.

(٣٢) بيبرس الدوادار : مصدر سابق مجلد ١ ص ٣٣.

وتختلف المصادر التاريخية فى تحديد حجم القوة التى تركها هولاكو للقائد كبتوبوقا ، فابن العبرى ذكر بأنها كانت عشرة آلاف فارس ، ويتفق ذلك مع ما ذكره المؤرخ الأرمنى هيتون Hayton . أما المؤرخ الأرمنى

وكان هولاكو قد أرسل قبل مغادرته حلب بقليل رسالة الى سلطان مصر مثل تلك الرسائل التى اعتاد المغول ارسالها الى ملوك وسلاطين البلاد التى ينوون فتحها • وهى رسائل مملوءة بالتهديد والوعيد وطلب الاستسلام قبل فوات الأوان[٣٣] ، فجمع السلطان قطز الأمراء المماليك ودارت المناقشات بينهم فى كيفية مواجهة الموقف ، وأوضح قطز أن القتال هو السبيل الوحيد أمام المماليك ، وأثار حماس الذين أبدوا تخوفا من لقاء المغول ، فاتفق الجميع على حشد الجيوش اللازمة والاستعداد للحرب ، وتم قتل رسل المغول وصلبهم بايعاز من الأمير بيبرس البندقدارى[٣٤] • وخرج قطز من القاهرة فى شعبان سنة ٦٥٨هـ/يولية

الآخر كيراكوس فذكر بأنها كانت عشرين الف : انظر : ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٨٨ ،

Grousset, L'empire des steppes, p. 437; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 351.

وذكر ابن خلدون أن حجم القوة التى كانت مع كيتوبوقا هى اثنى عشر ألفا • ويوجد مؤرخ عربى متأخر هو ابن طولون ذكر بأن كيتوبوقا كان معه فى معركة عين جالوت تسعين ألفا • انظر :

ابن خلدون : مصدر سابق جـ ١٠ ص ٨١٩ ، شمس الدين بن طولون : أعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق د. عبد العظيم خطاب ، القسم الثانى ص ٤ •

(٣٣) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣١٠ ؛ ابن أيبك : الدرة الزكية ... ص ٤٧—٤٨ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٧ ، ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٣٠٤—٣٠٥ •

(٣٤) أورد رشيد الدين تفاصيل المناقشات التى دارت بين الأمراء مع السلطان قطز على اثر وصول رسالة هولاكو • انظر : رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣١١—٣١٣، وانظر أيضا : ابن أيبك : مصدر سابق ص ٤٨ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٩ ، د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٣٤ ، د. فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى الدولة المملوكية الأولى ص ٤٨—٤٩ ،

Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 351.

١٢٦٠م على رأس جيوشه وعسكر عند الصالحية انتظارا لاتمام حشد القوات • وعندما وجد تقاعسا من بعض الأمراء المماليك قال لهم : « يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبنى ، ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين » • ثم أخذ الايمان من أمرائه فى موافقته على السير معه ؛ فلم يسع البقية الا الموافقة[٣٥] • ثم نزل قطز على غزة ، وهنا أظهر قطز ذكاء عسكريا كما أظهر من قبل ذكاء سياسيا فى تجميع الصفوف لقتال المغول ، فقد اختار قطز أن يعرج أولا على منطقة الساحل لكشف نيات القوى الصليبية فى حالة وقوع الحرب بينه وبين كيتوبوقا ؛ والمبادرة بالحيلولة دون وقوع تحالف مغولى صليبى فى تلك الأيام الحرجة بالنسبة للمسلمين ، وبعبارة أخرى فان قطز سعى لضمان حياد الصليبيين فى الحرب بينه وبين المغول[٣٦] •

وكانت العلاقات بين المغول والصليبيين فى بلاد الشام قد ساءت فى تلك الفترة بالرغم من ميل وتشجيع كيتوبوقا للمسيحيين ، فرغم مشاركة بوهمند السادس أمير أنطاكية لكيتوبوقا الرأى فى أهمية التحالف بين الجانبين الا أن بارونات عكا لم يكن يرون فى المغول سوى ذلك الجنس المتوحش ، بل فضلوا عليهم المسلمين • وحدث أن هاجم الكونت جوليان الصيداوى دورية مغولية قتل فيها أحد أقرباء كيتوبوقا ، فهاج المغول

---

(٣٥) المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٢٩ ، د• سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٣ •

(٣٦) المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٣٠ ؛
S. Lane Poole, History of Egypt, p. 262.

عندئذ وانتقموا بمهاجمة صيدا ونهبها ، فوقع النفور بين الجانبين(٣٧) . ومن ناحية أخرى كان الشقاق قد دب بين بعض عناصر القوى الصليبية فى بلاد الشام لا سيما بين الجنوية والبنادقة منذ سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦ م ، لذا فانها لم تعد تمثل خطرا حقيقيا على المسلمين(٣٨) ، بل ان تلك القوى عرضت تقديم المساعدات لقطز فى حربه المرتقبة ضد المغول(٣٩) . ولكن السلطان قطز اكتفى بأن أخذ منهم وعدا بأن يقفوا على الحياد ، ثم وجه اليهم تحذيرا قويا بأنه متى تبعه منهم فارس أو راجل بريد الحاق الأذى بقوات المسلمين رجع اليهم وقاتلهم قبل أن يقاتل المغـول(٤٠) ، فأدرك الصليبيون بعد أن رأوا الحشد الهائل للجيش المملوكى أنهم لا يستطيعون مواجهة المسلمين ، لذلك فانهم أى الصليبيين لم يرضخوا فقط لتهـديد قطز ، بل سمحوا أيضا للجيش المملوكى بأن يتزود بالمؤن اللازمة ، وهكذا اتيح للماليك فرصة ذهبية للقاء كيتوبوقا وهم على أتم استعداد ، فضلا عن كثرة قوات المماليك بالقياس لقوات المغول(٤١) .

---

(37) Howorth, op. cit., 111, p. 164; Grousset, L'empire des steppes, p. 437—438;

وللمزيد من التفاصيل عن العلاقات بين الجانبين فى تلك الفترة انظر :

د. سعيد عاشور : الحركة ج ٢ ص ١١٣٣ ، د. الصياد : المغـول ج ١ ص ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين ص ٥١—٥٢ .

(٣٨) العبادى : مرجع سابق ص ١٦٢ ، وعن أحوال الصليبيين فى بلاد الشام انظر : د. سعيد عاشور : الحركة ج ٢ ص ١١٠٦—١١١١ ،
G. Wiet, op. cit., p. 410.

(٣٩) المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٣٠ ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٤ .

(٤٠) المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٣٠ .

(41) Grousset, L'empire des steppes, p. 438;

د. سعيد عاشور : الحركة ج ٢ ص ١١٣٥ — ١١٣٦ ، د. الصياد : المغول ج ١ ص ٣٠٧ .

وكان بيدرا قائد طليعة جيش المغول قد تقدم بقواته حتى غزة ، وعندما علم بتحرك جيش مصر أرسل الخبر على الفور الى كيتوبوقا فى معسكره بالقرب من بعلبك ، فطلب منه كيتوبوقا الانتظار والثبات فى مكانه[٤٢] • ولكن بيبرس البندقدار الذى فوض اليه قطز قيادة مقدمة الجيش المصرى داهم بيدرا وألحق به الهزيمة وطارده حتى نهر العاص[٤٣] • وعندما علم كيتوبوقا بذلك اشتعل غيظا واستبد به الغضب ، فجمع قواته المتفرقة فى بلاد الشام مع من انضم اليه من الجورجيين والأرمن استعدادا للقاء قطز فى معركة فاصلة[٤٤] • وكان قطز قد حصل على معلومات عسكرية مهمة عن العدو أرسلها اليه الأمير صارم الدين أزبك الذى أسره المغول فى معارك سابقة فى بلاد الشام وأجبر على العمل فى

---

(٤٢) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣١٣ ، وأنظر ايضا : د • سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٣ ، د• سعيد عاشور ايضا : الحركة جـ ٢ ص ١١٣٥ ،

Howorth, op. cit., 111, p. 167.

(٤٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٩—٤٣٠ ، د• سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ص ٣١—٣٢ ،

Howorth, op. cit., 111, p. 167.

ويلاحظ ان رشيد الدين ذكر بأن قطز هو الذى هاجم بيدرا عند غزة ، لكن تسلسل الأحداث التاريخية تؤيد رواية المقريزى فى أن بيبرس هو الذى اشتبك مع ببدرا ، وانه اخذ فى مناوشتهم فتارة يتقدم ، وتارة يحجم الى ان وافاه السلطان على عين جالوت •

انظر رشيد الدين : مصدر سابق مجلد ٢ جـ ١ ص ٣١٣ •

(٤٤) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣١٣ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ٧٩ ، د• سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٤ ،

Grousset, L'empire des steppes, p. 439.

صفوفهم[٤٥] ، كما أرسل قطز الى الأشرف حاكم حمص والى السعيد حاكم بانياس وقلعة الصبيبة لاستمالتهما ، وكانا ضمن قوات كيتوبوقا ، فوعد الأشرف بالانسحاب من المعركة عند اللقاء فى حين أساء السعيد الرد على قطز[٤٦] .

ووضع قطز خطته العسكرية على أساس اعداد كمين لقوات العدو فى ثلاث جهات ، وعند بداية المعركة الرئيسية التى وقعت يوم ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ/سبتمبر ١٢٦٠ م تحيز الأشرف حاكم حمص وفقا لاتفاقه السابق مع قطز ، كما حمل قطز فى عدد قليل من قواته على المغول واشتبك معهم ثم استدرجهم حتى بلغ بهم الكمين ، فانشق عليهم من ثلاث جهات ، وقاتل المصريون قتالا مستميتا من الفجر الى منتصف النهار حتى تعذرت المقاومة على المغول[٤٧] . وقد ألقى السلطان خوذته عن رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته « واسلاماه » ثلاث مرات حتى سمعه معظم الجنود ، كما قاتل راجلا أحيانا بعد أن صرع فرسه ، وأبلى الأمير بيبرس أيضا بلاء حسنا بين يدى السلطان ، فحق النصر للمسلمين ،

---

(٤٥) أرسل الأمير صارم الدين ازبك بن عبد الله الأشرفى قبل المعركة مملوكا خاصا الى السلطان قطز أمده بالمعلومات عن جيش المغول : انظر : ابن أيبك : الدرة الزكية ص ٥٣–٥٧ ، العبادى : قيام دولة المماليك الأولى ص ١٦٤–١٦٥ ، ٢٥٦–٢٦٨ .

(٤٦) ابن خلدون : مصدر سابق جـ ١٠ ص ٨١٩–٨٢٠ .

(٤٧) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣١٣–٣١٤ . وعن هذه المعركة انظر أيضا : المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٣٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ٧٩ ، ابن العبرى : مصدر سابق ص ٤٨٩ ، ابن الوردى : مصدر سابق جـ ٢ ص ٢٩٥ ، ابن أيبك : مصدر سابق ص ٤٩–٥٠ ، أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ٢٠٥ ، أبو شامة : مصدر سابق ص ٢٠٧ ، اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ابن كثير : مصدر سابق جـ ١٣ ص ٢٢٠–٢٢١ ،

Grousset, L'empire des steppes, p. 439.

ولحقت الهزيمة بالمغول(٤٨) . وعلى الرغم من استبسال كيتوبوقا فى القتال الا أنه أسر فى نهاية الأمر ، وكانت هناك مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال ، فاختفى فيها فوج من فرسان المغول فأمر قطز جنوده بأن يضرموا فيها النار ، فأحرقوهم جميعا(٤٩) . وتظاهر كيتوبوقا وهو أسير بين يدى قطز بالشجاعة ، وهدد السلطان بانتقام هولاكو قائلا : « فانه حين يبلغ حضرة هولاكو خان نبأ وفاتى سوف يغلى بحر غضبه ، وستطأ سنابك خيل المغول البلاد من اذربيجان حتى ديار مصر ؛ وستحمل رمال مصر فى مخالى خيولهم الى هناك . ان لهولاكو خان ثلاثمائة ألف فارس مثل كيتوبوقا ، فافرض أنه نقص واحد منهم » ، فرد عليه قطـز فى شجاعة : « لا تفخر الى هذا الحد بفرسان توران ، فانهم يزاولون أعمالهم بالمكر والخداع لا بالرجولة والشهامة » ، ثم أمر السلطان قطز بقتله(٥٠) .

---

(٤٨) المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٣١ .

وقد أورد المؤلف ابو عبد الله بن فضل الله الشيرازى المعروف بوصاف الحضرة فى مؤلفه رواية تقول بأن المصربين قد ارتدوا معاطف بيضاء مثل معاطف المغول ورفعوا أعلاما بيضاء مثل أعلامهم وباغتوا المغول فى معسكرهم والحقوا بهم الهزيمة . انظر :

Howorth, op. cit., 111, p. 168.

(٤٩) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ص ٣١٤ .

(٥٠) للمزيد من ذلك الحوار أنظر : رشيد الدين : مصدر سابق مجلد ٢ ج ١ ص ٣١٥—٣١٦ ،

Howorth, op, cit., 111, p. 168—169.

ولم تذكر المصادر العربية اسر كيتوبوقا ولا الحوار بينه وبين قطز ، انما اكتفت بالقول بأن كيتوبوقا قتل فى المعركة . انظر :

المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٣١—٤٣٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ٧ ص ٧٩ ، ابن خلدون : مصدر سابق ج ١٠ ص ٨٢٠ ، أبو شامة : مصدر سابق ص ٢٧ .

وحاولت بعض فلول من المغول تنظيم صفوفها مرة ثانية بالقرب من بيسان لاحتواء الهزيمة التى حلت بهم عند عين جالوت ومهاجمة قوات المماليك ، لكن النصر كان حليف المسلمين للمرة الثانية ، ولحقت بالمغول خسائر هائلة فى الأرواح والممتلكات بعد أن قاتلوا قتالا أشد مما حدث فى المعركة الأولى(٥١) • ثم طارد المصريون شراذم المغول المنسحبة فى جميع أنحاء الشام حتى نهر الفرات ، واستولوا على معسكر كيتوبوقا نفسه وقتلوا قادة المغول الذين كانوا قد عينوا حكاما على المدن الشامية وأسروا نساءهم وأطفالهم(٥٢) • وعندما وصلت أخبار هزيمة كيتوبوقا وقتله الى هولاكو استبد به الغضب ، وأراد ارسال جيش آخر لمحاربة المماليك ، غير أن خلافات حادة وحروب هائلة وقعت بينه وبين أقاربه من بيت بركة الذين يحكمون القفجاق ، مما حال دون تنفيذ رغبة هولاكو ، فعدل عن فكرته • وكل ما استطاع هولاكو عمله آنذاك هو قتل الملك الناصر يوسف الأيوبى مع ثلاثمائة من أمراء الشام كانوا أسرى فى فارس(٥٣) •

كانت معركة عين جالوت هى أول صدام بين المغول والمماليك ، وترتب عليها نتائج بالغة الأهمية على كل القوى السياسية والعسكرية ليس فقط فى الشرق الاسلامى بل فى الغرب الأوربى أيضا • لقد تبددت خرافة أن

---

(٥١) المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٣١ ،

Howorth, op. cit., 111, p. 169; Wiet. op. cit., p. 410.

وذكر بيبرس الدوادار ان بيبرس البندقدارى اوقع الهزيمة ايضا بالنجدة التى ارسلها هولاكو الى كيتوبوقا عند حمص وكان عددها الفين قتلوا عن آخرهم • انظر : زبدة الفكرة مجلد ١ ص ٣٥ •

(٥٢) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ١ ص ٣١٦ ، وانظر ايضا :

ابن تغرى بردى : النجوم ج ٧ ص ٧٩—٨٠ ، ابن الوردى : مصدر سابق ج ٢ ص ٢٩٥ •

(٥٣) رشيد الدين : مصدر سابق مجلد ٢ ج ١ ص ٣١٧ ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٣٤٤ •

المغول قوم لا يهزمون قط . تلك الخرافة التى استغلها المغول كثيرا فى تحقيق ارهاب أعدائهم بصورة مخيفة حتى يستسلموا لهم . وقد ساعد مظهر المغول البغيض وما امتازوا به من عادات قبيحة وكريهة على زيادة الفزع والارهاب لدى اعدائهم(٥٤) . واذا كانت عودة هولاكو مع جزء كبير من قواته قد أضعفت الجيش المغولى فى بلاد الشام ، الا أن الواقع يثبت أن رجوع ذلك القائد لم يقلل من عزم المغول على اجتياح مصر . فقواتهم قد وصلت فى تقدمها حتى غزة ، كما أن المماليك لم يطمئنـــوا مطلقا لنوايا المغول ، بل ملأ الخوف قلوب الأمراء المماليك من ذلك العدو الذى أباد كل من واجهه فى المعارك السابقة بدءا من جوف آسيا حتى بلاد الشام، فخرج المماليك مع قطز وهم كارهون للقتال لولا ثبات وشجاعة ذلك السلطان المظفر وغيره من كبار الأمراء مثل بيبرس البندقدارى . وقد حث قطز باستمرار رجاله على الاستشهاد فى سبيل الله حتى أعلن أمامهم أنه سيلقى المغول بمفرده اذا تقاعس باقى الأمراء(٥٥) . وهنا تكمن أهمية انتصار المماليك ، اذ كان بعثا لروح الجهاد الاسلامى فى مواجهة أعداء الاسلام ، وقد ظلت تلك الروح سارية لفترة طويلة ، فأوقفت المد المغولى غربى الفرات وقضت على أحلامهم فى الامتداد الى أفريقيا ، ومن ناحية أخرى فان اضعاف شوكة المغول أتاح للمماليك فيما بعد القضـــاء

---

(٥٤) براون : تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ترجمة ابراهيم أمين الشواربى ص ٥٦٨ . وقد لاحظ المؤرخون المسلمون أثر تلك الدعاية على المسلمين ، فالمؤرخ ابن الأثير ذكر أمثلة عديدة عن أثر ارهاب المغول فى نفوس المعاصرين : « حتى ان الرجل الواحد منهم كان يدخـــل القرية او الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد . لا يتجاسر احد ان يمد يده الى ذلك الفارس » . « ولقد بلغنى أن انسانا منهم اخذ رجلا ولم يكن مع التترى ما يقتله به فقال له : ضع راسك على الأرض ولا تبرح ، فوضع راسه على الأرض ومضى التترى فأحضر سيفا وقتله به »

انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٥٠٠ — ٥٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٣٢٧ .

(٥٥) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٩ .

نهائيا على الصليبيين فى بلاد الشام • ومن جهة ثالثة أتاح ذلك النصر للقاهرة أن تظل قبلة الأنظار وحارسة الثقافة الاسلامية فى العالم الاسلامى، بل وتصدير تلك الثقافة للمغول أنفسهم سواء مغول فارس أو القبيلة الذهبية(٥٦) •

وعلى صعيد آخر فان انتصار المماليك على المغول فى عين جالوت قد أعاد التوازن السياسى والاجتماعى بين المسلمين والأقليات المسيحية فى البلاد الاسلامية الى حالته الطبيعية • وكانت هذه الأقليات قد ارتفع شأنها أكثر من حجمها بسبب تعاطف المغول معهم على حساب المسلمين ، فكان طبيعيا أن تظهر رنة الحزن والغضب فى كتابات المؤرخ الأرمنى جريجور GirGor of Akanc عن معركة عين جالوت(٥٧) • وهناك نتيجة أخرى على جانب كبير من الأهمية تحققت بعد انتصار المماليك فى عين جالوت ألا وهى اعادة الوحدة بين مصر وبلاد الشام حتى شاطىء الفرات بعد أن أدى ضعف أبناء صلاح الدين الأيوبى الى تمزيقها ، وهى الوحدة التى بذل كل من نور الدين محمود وصلاح الدين جهودا جبارة خلال القرن الثانى عشر الميلادى من أجل تحقيقها لمواجهة الخطر الصليبى(٥٨) • أما أثر انتصار المماليك فى عين جالوت على أوربا ، فانه قد حال دون غزو المغول لها ، اذ كان هولاكو وخلفاؤه يفكرون فى الزحف على أوربا وتخريبها بعد استيلائهم على منطقة الشرق العربى مخترقين طريق الصحراء الغربية(٥٩) •

---

(56) Howorth, op. cit., 111, p. 169—170.

(57) GirGor of Akanc, op. cit., p. 81.

(٥٨) د • سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٦—٣٧ ؛

D. Ayalon, The Great yasa .. p. 132, Note, I, «in studia Islamica XXXVI».

(٥٩) الصياد : المغول ج ١ ص ٣١٥ ، ٣١٧ ، العبادى : مرجع سابق ص ١٦٩—١٧٠ •

الفصل الثالث

المغول والمماليك فى عهد الظاهر بيبرس

- قتل قطز وتولية بيبرس الحكم فى مصر .
- هجمات المغول على بلاد الشام وهزيمتهم عند حمص .
- بيبرس والصليبيون فى بلاد الشام .
- بيبرس ومغول القفجاق .
- بيبرس وأبغا بن هولاكو .
- هزيمة المغول عند البيرة سنة ٦٧١هـ/١٢٧٣ م .
- هزيمة المغول عند الابلستين سنة ٦٧٥ هـ/١٢٧٧ م .

الفصل الثالث

المغول والمماليك فى عهد الظاهر بيبرس

أخذ قطز بعد معركة عين جالوت يعمل على اعادة الاستقرار الى ربوع الشام بتعيين مماليكه وأنصاره فى نيابات المدن الشامية . غير أنه ارتكب خطأ جسيما عند تعيين هؤلاء النواب . فقد نسى أو تناسى الدور الكبير الذى لعبه بيبرس فى الحرب ضد المغول ، وهو الدور الذى لا يقل أهمية عن دور قطز نفسه ، فانتصار المماليك فى عين جالوت يرجع فى كثير من أسبابه الى جهود الظاهر بيبرس[1] . لقد وقف بيبرس موقفا جريئا من أمراء الشام الذين أبدوا تخاذلا عند هجوم هولاكو على حلب[2] ؛ كما أن بيبرس هو الذى أوقع الهزيمة بمقدمة الجيش المغولى التى كان يقودها بيدرا عند غزة . وظل يطارد المغول المهزومين فى كل بلاد الشام حتى أخرجهم منها . وكان قطز قد وعد بيبرس قبل معركة عين جالوت باعطائه نيابة حلب . لكن قطز فيما يبدو خشى طموح بيبرس ونزوعه الى الاستقلال ، فتراجع بعد تحقيق الانتصار عن وعده . وأعطاها الى الملك السعيد علاء الدين على بن بدر الدين لؤلؤ[3] ؛ كما أخذ قطز

---

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر . تحقيق د. عبد العزيز الخويطر ص ٦٤—٦٥ .

(٢) ومن هؤلاء الأمراء زين الدين الحافظى الذى أخذ يعظم شأن هولاكو ويشير بالدخول فى طاعته ، فضربه بيبرس وسبه وقال له « أنتم سبب هلاك المسلمين » . انظر : المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ ق ٢ ص ١١٩ ، د. سرور : دولة الظاهر بيبرس ص ٣٨ .

(٣) اليونينى : ذيل مرآة الزمان جـ١ ص ٣٧٠ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص٨٢، ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٦٨—٢٦٩؛ السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٩ ، د. سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ص ٣٣—٣٤ .

يظهر تكبرا فى معاملته مع الظاهر بيبرس(٤) ، فبدأت الجفــوة بينهما ، واحترس كل منهما من الآخر . ويقال بأن قطز عدل عن الذهاب الى حلب وقرر العودة الى القاهرة خوفا من بيبرس(٥) .

واذا كان من المحتمل أن يكون قطز قد أعــطى نيابة حلــب للملك السعيد علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ بقصد الحصول على معلــومات مؤكدة عن تحركات المغول عن طريق مكاتبات الملك السعيد مع أخيه الصالح حاكم الموصل(٦) ، الا أنه كان ينبغى على قطز أيضا تقدير شجاعة بيبرس واخلاصه فى الحرب ضد المغول ، بل كان من الأفضل لقطز تولية أمــير طموح مثل بيبرس احدى النيابات الكبرى فى بلاد الشام وابعاده عن الحياة السياسية فى مصر تجنبا لخطورته ؛ لا سيما أنه كان بين قطــز والمماليك البحرية بصفة علمة ثأر وعداء قديم منذ أن شارك قطز فى قتل زعيمهم فارس الدين أقطاى فى عصر السلطان عز الدين أيبك(٧) ، ثم ما ترتب على ذلك من تشتيت البحرية فى بلاد الشام حيث لاقوا الذل والهوان والتشتت فى الفجاج مما أحفظ قلوبهم على قطز فمــكروا به

---

(٤) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٦٨ .

(٥) ابن ايبك : الدرة الزكية فى اخبار الدولة التركية ص ٦٠ ، اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص ٣٧٠ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤٣٤ ، اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان جـ ٤ ص ١٤٩ .

(٦) ابو الفداء : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٢٠٧ ، ابن خلدون : كتاب العبر المجلد الخامس جـ ١٠ ص ٨٢١ ، د. العبادى : قيام دولة المماليك الأولى ص ١٧١ .

(٧) ابو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ١٩٠ ، ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٥٣ــ٥٥ ، العينى : عقد الجمان مجلد ٢٢ ص ٢ ، ٣ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى تحقيق د. محمد محمد أمين ، جـ ٢ ص ٥٠٣ــ٥٠٤ ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٨، ٣٩ ، د. سرور : دولة الظاهر بيبرس ص ٤١ .

وبيتوا له نية الفتك به[٨] ، وكان أن دبر بيبرس مع بعض الأمراء مؤامرة قتل فيها السلطان قطز بالقرب من الصالحية وهو فى طريقه الى القاهرة حوالى منتصف ذى القعدة سنة ٦٥٨ هـ/اكتوبر ١٢٦٠ م[٩] . ثم دخل بيبرس القاهرة التى كانت قد تزينت احتفالا بقطز بطل النصر فى عين جالوت ، فاستقبلت قاتله بدلا منه . ثم ملك بيبرس قلعة الجبل أواخر عام ٦٥٨ هـ/أكتوبر ١٢٦٠ م ، وثبت نفسه فى الحكم واتخذ لقب الظاهر وأقسم الأمراء له يمين الولاء ، ومن ثم شرع فى وضع سياسة جديدة لدولة المماليك البحرية تهدف الى صد أخطار المغول والصليبيين عن بلاد الشام ، ونشر نفوذه فى شبه الجزيرة العربية والنوبة ، وتوطيد الأمن فى مصر والشام ، ووضع قواعد التنظيم الادارى بهما[١٠] .

وقد اعتقد المغول أن دولة المماليك قد تفككت بعد قتل قطز . وأن الظروف السياسية والعسكرية قد أصبحت مناسبة للثأر لما حل بالمغول فى عين جالوت . فقاد بيدرا قواته أواخر عام ٦٥٨هـ وأوائل عام ٦٥٩هـ / ١٢٦٠ م وأغار على البيرة[١١] ، ثم هاجم حلب ووضع السيف فى أهلها ، وخربوا قلعتها خرابا شنيعا بما فيها من الدور والخزائن[١٢] . ثم اتجه المغول الى حماة لكنها امتنعت عليهم فساروا الى حمص[١٣] . ولم يكن

---

(٨) بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة مجلد ١ ص ٣٨ ، العينى : مصدر سابق مجلد ٢٢ ص ١٣٢—١٣٣ .

(٩) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٦٧—٦٨ ، أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ٢٠٧ ، ابن أيبك : مصدر سابق ص ٦١—٦٣ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤٣٥ .

(١٠) ابن أيبك : مصدر سابق ص ٦٢—٦٣ ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٩—٤١ .

(١١) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤٤٢ هامش ٣ .

(١٢) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص ٢٧ .

(١٣) أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٣ ص ٢٠٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ١٠٦ — ١٠٧ .

الظاهر بيبرس فى ذلك الوقت فى وضع عسكرى مناسب يمكنه من ارسال قواته لصد الهجوم المغولى وذلك بسبب نشوب بعض الثورات ضد حكمه. وكانت الثورة الأولى بقيادة الأمير سنجر الحلبى نائب دمشق الذى ثار لقتل قطز ، وأعلن نفسه سلطانا وتلقب بالملك المجاهد ، وخطب له على منابر دمشق فى ذى الحجة سنة ٦٥٨ هـ/نوفمبر ١٢٦٠ م[١٤] . أما الثورة الثانية فتزعمها رجل شيعى يعرف بالكورانى كان يهدف الى قلب نظام الحكم واقامة حكم شيعى فى مصر[١٥] .

ومع أن الظاهر بيبرس لم يتمكن خلال اخماده لهاتين الثورتين من ارسال جيشه لمواجهة المغول الا أن تعاون القوات الشامية بقيادة كل من الأشرف موسى شيركوه نائب حمص والملك المنصور نائب حماه والأمير حسام الدين الجوكندارى قائد قوات حلب[١٦] ، بالاضافة الى بعض القبائل العربية بقيادة زامل بن على[١٧] ، قد أدى الى هزيمة قوات المغول عند قبر خالد بن الوليد فى حمص ، وقتل عدد كبير من رجالهم فلاذ قائدهم

---

(١٤) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٩٤—٩٥ ، ابو الفداء : مصدر سابق ج ٣ ص ٢٠٨ ، اليونينى : مصدر سابق ص ٣٧٣ — ٣٧٤ ، المقريزى مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٣٨—٤٣٩ ، العبادى : مرجع سابق ص ١٧٨ ،
G. Wiet, Histoire de la Nation Egyptienne, Tome IV, L'Egypte arabe, p. 414.

(١٥) المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٤٠ ، العينى : مصدر سابق مجلد ٢٢ ص ١٤٧ .

(١٦) ابو الفداء : مصدر سابق ج ٣ ص ٢٠٩ . ابن تغرى بردى : النجوم ج ٧ ص ١٠٧ .

(١٧) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٨ ورقة ٩ .

بيدرا بالفرار فى نفر يسير من قواته(١٨) . وما أن تمكن الظاهر بيبرس من القضاء على الثوار(١٩) حتى أرسل قواته الى بلاد الشام لطرد المغول الذين هاجموا حلب ، وما أن وصلت قوات المماليك الى غزة حتى بادر الصليبيون الى تحذير قوات المغول ، فلاذوا بالفرار ، ودخلت قوات الظاهر الى حلب وأحكمت قبضتها عليها(٢٠) . ثم أكمل الظاهر بيبرس شرعية حكمه باحياء الخلافة العباسية فى مصر سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١ م(٢١) ، وتقرب من المصريين بالغاء كثير من الضرائب التى كان قطز قد أحدثها لمواجهة

---

(١٨) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٩٧ ، ابن أيبك : مصدر سابق ص ٦٨ ، اليونينى : مصدر سابق ج ١ ص ٤٣٤—٤٣٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٣٠ ، ابن ابى الفضائل : تاريخه ص ٤١٦—٤١٨ فى :

P. Or. Tome XII : ;

النويرى : مصدر سابق ج٢٨ ورقة ٩ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج٢ ص ٣٠٠—٣٠١ ، د. سعيد عاشور : الحركة ج ٢ ص ١١٤١ .

(١٩) أخمد بيبرس ثورة الكورانى فى نهاية عام ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م وصلب زعماءها على باب زويلة ، كما أرسل قواته فألقت القبض على الأمير سنجر الحلبى وعادت به الى القاهرة فى صفر سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠ م . انظر : ابو الفداء : مصدر سابق ج ٣ص ٢١٠ ، المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٢٠) ابن كثير : مصدر سابق ج ١٣ ص ٢٣١ ، النويرى : مصدر سابق ج ٢٨ ورقة ١٠ .

(٢١) عن احياء الخلافة العباسية فى مصر انظر : ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٩٩—١١٢ ، ابن أبى الفضائل: مصدر سابق ص٤٢٣—٤٢٦ ، أبو الفداء : مصدر سابق ج ٣ ص ٢١٢—٢١٣ ، المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق٢ ص ٤٤٨—٤٥١ ، النويرى : مصدر سابق ج ٢٨ أوراق ٥—٨ ، العينى: مصدر سابق مجلد ٢٢ ص ١٦٧—١٨٢ . د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٤٢—٣٤٧ ،

D. Ayalon, studies on the transfer of the Abbasid Caliphate from Bagdad to Cairo, in «Arabica vol. VII, 1960». p. 41—59.

المغول(٢٢) ، وبذلك أصبح مركز الظاهر قويا فى الحكم ، فشرع فى تنفيذ سياسته ضد مغول فارس الذين امتد سلطانهم حتى شواطىء الفرات ، وضد الصليبيين فى بلاد الشام الذين أيدوا المغول فى حملتهم البربرية ضد العالم الاسلامى ٠

وأدرك الظاهر بيبرس أن الصراع مع المغول لم ينته بانتصار المماليك فى عين جالوت وفى حمص ، وأن الحرب بين الجانبين سوف تستمر زمنا طويلا ، فاستعد من أجل ذلك ببناء قوة عسكرية ضخمة وصلت الى حوالى أربعين ألف فارس ، بعد أن كانت قد انكمشت فى أواخر عهد الأيوبيين الى عشرة آلاف(٢٣) ٠ كما اهتم بيبرس بشراءوتربية خيول الحرب الممتازة(٢٤) ، وقد ساعد الظاهر بيبرس على تدعيم قوته العسكرية وصول أعداد كبيرة من مغول القفجاق ، وهم الذين عرفوا بالوافدية ،

---

(٢٢) ابن ابى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٠٩ — ٤١٠ ، اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص ٣٧٢ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤٣٧ ، العينى : مصدر سابق مجلد ٢٢ ص ١٤٧ ٠

(٢٣) ابن شاكر الكتبى : مصدر سابق جـ ١ ص ١٦٩ ،

وعن بناء الجيش المصرى فى عهد الظاهر بيبرس انظر : ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ١٩٧—١٩٨ ،

Humphreys, R. S., The emergence of the Mamluk army. in «Studia Islamica vol. XLV, pp. 67—99; vol. XLVI, pp. 147 — 182, 1977; D. Ayalon, The System of Payment in Mamluk Military Society, in «JESHO», vol. I, Part I, 1958.

(٢٤) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١٣٦ ،

D. Ayalon, The System... vol. I, Part III, p. 265, Note I.

فتالوا تشجيع الظاهر ، واسلموا فى مصر وحسن اسلامهم وأصبحوا من جملة المماليك السلطانية(٢٥) .

وبدأ بيبرس تنفيذ سياسته بتشديد الضغط على الصليبيين فى بلاد الشام لتقليل دورهم فى الصراع بينه وبين المغول ، وقام من أجل ذلك بخطوتين : احداهما ارسال الحملات العسكرية المتتابعة ضد المراكز الصليبية فى بلاد الشام ، والثانية محالفة الدول الأوربية لضمان حيادها ومنعها من ارسال المساعدات العسكرية الى الصليبيين . وفيما يتعلق بالخطوة الأولى فقد أرسل بيبرس قواته للاغارة على أنطاكية سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١ م لمعاقبة أميرها بوهمند السادس على تعاونه مع المغول مما جعل الصليبيين فى يافا وبيروت يطلبون الهدنة ، فتشدد الظاهر بيبرس فى شروطه وهددهم قائلا : « فان بقيتم على العهد والا فما لنا شغل الا الجهاد »(٢٦) . ثم هاجمت قوات المماليك أنطاكية مرة ثانية عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م وأحرقت الميناء بما فيه من السفن . أما بيبرس فقاد بنفسه الهجوم على عكا فى جمادى الآخرة سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م وهدم أبراجها وقتل وأسر عددا من سكانها(٢٧) .

أما بشأن محالفة القوى الأوربية فان بيبرس لم يجد صعوبة كبيرة فى جذب تلك القوى نظرا لأن الطرق التجارية فيما وراء النهر لم تكن قد

---

(٢٥) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١٣٧—١٣٨ . ١٧٨—١٨٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب مخطوط جـ ٢ ورقة ١٢٩٥—١٢٩٦ حوادث سنة ٦٦٠ هـ ، النويرى : مصدر سابق جـ ٢٨ ورقة ١٧ ، ٢٥ ، ، بيبرس الدوادار : مصدر سابق مجلد ١ ص ٨٤ ، وانظر ايضا :

Hassanein Rabie, The Finan cial system of Egypt A. H. 564—741, A. D. 1169—1341, p. 30—31.

(٢٦) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١١٧—١١٩ .

(٢٧) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٤٦٣—٤٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٨٨—٤٨٩ .

فتحت بعد منذ الغزو المغولى . وكانت تجارة الفلفل على وجه خاص تصل الى أوربا عبر الموانى المصرية . لذلك فان كثيرا من القوى الأوربية المهتمة بمثل تلك التجارة مثل البندقية وصقلية لما تحققـه من ثروة هائلة من ورائها ، هذه القوى كان من صالحها أن تكون على علاقات طيبة مع مصر وألا تنهار دولة المماليك[٢٨] .

وقد أرسل بيبرس سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م سفارة الى مانفرد ملك صـقلية من أجل تدعيم العـلاقات بين الجانبين[٢٩] . كما تحـالف بيبـرس مع الامبراطور البيزنطى ميخائيل باليولوجوس وتبادل معه السفارات والهدايا عام ٦٦٠هـ/١٢٦٢ م ، وأرسل بيبرس الى القسطنطينية بطريركا ملكانيا بناء على طلب الامبراطور ، فى مقابل تجديد المساجد التى خربها اللاتين فى العاصـمة البيزنطية[٣٠] . وقد عقد الظاهر بيبـرس مع الامبراطور ميخائيل معاهدة أعطت للسلطان حرية نقل المماليك المشتراة عبر الأراضى البيزنطية[٣١] . وأرسل ميخائيل رسالة الى الظاهر بيبرس جاء فيها أنه :

---

(28) M. Prawdin, The Mongol empire, its rise and Legacy, p. 370—371.

(٢٩) د. سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ص ٥٨ ، د. العبادى : مرجع سابق ص ٢٠٣—٢٠٤ ، منى عبد الرحمن : السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك ، ص ١٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥ م .

S. Lane Poole, History of Egypt in the Middle ages, p. 266.

(٣٠) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١٢٩ . النويرى : مصـدر سابق ج ٢٨ ورقة ١٥ ، المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٧١ ، د. حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ص ٢٩٣ ، العبادى : مرجع سابق ص ٢٠٢ .

S. Lane Poole, op cit., p. 266; Howorth, History of the Mongols, Part 111, p. 196—197.

(31) M. Prawdin, op. cit., p. 371.

« متى احتاجت سلطنة الملك الظاهر الى مساعدة ساعدت بكل ما تقدر عليه سلطنتى »(٣٢) وعندما ساءت العلاقات بين بركة خان القفجاق والامبراطور البيزنطى ، عوق الامبراطور سفراء بيبرس الى بركة واحتجزهم فى فى القسطنطينية ، فأرسل السلطان بيبرس رسالة شديدة اللهجة الى الامبراطور حملتها اليه بعثة من رجال الدين المسيحيين فى مصر قال له فيها « ان كان سبب امساك رسلى فساد حالك مع الملك بركة ، وكون عساكره أفسدت فى بلادك ، فأنا أصلح الحال بينك وبينه » . ثم قام سفراء بيبرس بدور الوساطة بين الجانبين ، فأطلق الامبراطور سراح السفراء المحتجزين لديه(٣٣) • كذلك عقد بيبرس معاهدات تجارية مع جيمس ملك أرغونة ثم مع الفونسو ملك قشتالة ، كما أرسل شارل حاكم أنجو Anjo أيضا بعثة الى القاهرة سنة ١٢٦٤م(٣٤) . وقد أثمرت هذه السياسة الودية مع الغرب حتى يمكن القول بأن من نتائجها المباشرة خلو عهد بيبرس من حملة صليبية على مصر •

وفى مجال التصدى لمغول فارس فان بيبرس اتخذ خطوات هامة فى منطقة جبهة القتال ، فجند العشائر العربية على حدود الفرات منذ سنة ٦٥٩ هـ/١٢٦١ م مثل عرب خفاجة ، ومنحهم الهدايا والأموال وحثهم على قتال المغول ، وكلفهم بحراسة مناطق الحدود مع العراق . فتواصلت هجمات العرب حتى أبواب مدينة بغداد(٣٥) • كما أمر بيبرس باحراق

---

(٣٢) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٨٨ .

(٣٣) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٢٠٢—٢٠٣ .

(34) Lane Poole, op. cit., p. 266.

(٣٥) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١٨٢ ، ١٩٤ . . النويرى : مصدر سابق ج ٢٨ ورقة ١١ ؛ المقريزى : مصدر سابق جا ق٢ ص ٤٦٥ ، ٤٨١ ، ٥٠١—٥٠٢ ، ٥١٠—٥١١ ، العبادى : مرجع سابق ص ٢٠٧ .

المروج التى كان من عادة هولاكو النزول فيها[٣٦] ، وأمر بيبرس أيضا بعمارة القلاع التى خربها المغول من حمص الى حوران وزودها بالمؤن والذخيرة ، فأقام بذلك خطا محصنا من شرق الأردن حتى نهر العاص[٣٧] .
وأقام بيبرس مناور فى الجبهة الشرقية المواجهة للمغول عند البيرة والرحبة بأن اتخذت مواقع على رؤوس الجبال توقد فيها النار ليلا ويثار فيها الدخان نهارا . وانتشرت هذه المواقع من أقصى حدود دولته عند البيرة والرحبة الى قلعة السلطان فى الجبل فضمن بذلك بيبرس وصول الأخبار أولا بأول ، وصار ما يستجد منها على الفرات صباحا يصل الى قلعة الجبل مساء ، وما يستجد مساء يصل صباحا[٣٨] . وفضلا عن ذلك كان بيبرس يرسل الكشافة باستمرار على خيول جيدة التدريب لمعرفة ما يستجد من معلومات عن حشود المغول على الحدود[٣٩] . كما جدد القلاع على حدود الفرات لا سيما قلعة البيرة التى شحنها بالمؤن والسلاح حتى تتحمل الحصار لمدة عشر سنوات كى تظل شوكة فى جانب المغول[٤٠] ،

---

(٣٦) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١٣٥—١٣٦ ، النويرى : مصدر سابق ج ٢٨ ورقة ١٧ ، المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٤٧٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٤ ص ٤٠١ .

(٣٧) العبادى : مرجع سابق ص ٢٠٨—٢٠٩ .

(٣٨) القلقشندى : مصدر سابق ج ١٤ ص ٣٩٨ ؛ العبادى : مرجع سابق ص ٢٠٩—٢١٠ .

(٣٩) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١٣٦ ؛ النويرى : مصدر سابق ج ٢٨ ورقة ١٦ ، ١٧ . ؛ ابن واصل : مفرج الكروب مخطوط ج ٢ ورقة ١٢٩١ ،

D. Ayalon, The System.., p. 265, Note I, in «JESHO», vol. I, Part 111.

(٤٠) المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٥٢٥ ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٤٣ ، د. العبادى : مرجع سابق ص ٢١٠—٢١١ .

هذا فضلا عن أن بيبرس كان لديه جهاز استخبارات على درجة عالية من الكفاية ، فكان له عيون فى الأردو مقر هولاكو ، وفى سيس بأرمينيا الصغرى ، وفى عكا ، يوافون القاهرة بتحركات المغول أولا بأول . فعندما أرسل هولاكو جاسوسين من قبله الى القاهرة أسرعت مصادر بيبرس فى فارس وغيرها بموافاته باسميهما وصفاتهما حتى تم القبض عليهما بمجرد وصولهما الى دمياط ، فوجد معهما كتابا من هولاكو الى الأتابك فى مصر يرغبه ويستميله ضد السلطان بيبرس(٤١) .

وكانت أهم خطوة خطاها بيبرس فى حربه ضد مغول فارس هى التحالف مع بركة خان الذى آل اليه الحكم فى بلاد القفجاق . وقد شكل التفاهم الذى تم بين العاهلين المصرى والمغولى خروجا على التقاليد المغولية ، فحتى ذلك الوقت لم تدخل دولة مغولية فى تحالف مع دولة أخرى الا فى شكل خضوع تلك الدولة للمغول سواء بصفة رسمية أو اسمية ، فملوك جورجيا وأرمينيا وآسيا الصغرى وأمراء روسيا أصبحوا اتباعا أو أفصالا للمغول ، وحتى أباطرة بيزنطة عقدوا معاهدات مع المغول من ذلك القبيل بمعنى أن الطرف الأقوى كان دائما فى هذه المعاهدات هو المغول . أما فى حالة بيبرس وبركة فقد كان الموقف مختلفا تماما عن تلك الاتفاقيات ، بل ان بركة قد اعتبر داخلا فى تبعية الخلافة العباسية فى مصر ، ومع أنها كانت تبعية اسمية الا أنه كان لها قيمة معنوية كبيرة(٤٢) .
وكانت العلاقات قد ساءت بين هولاكو وبركة خان لعدة أسباب : منها اعتناق بركة للاسلام ودفاعه عن المسلمين ، وبغضه لهولاكو بسبب ما ارتكبه من مذابح فى البلاد الاسلامية وقتله الخليفة العباسى . وقد

---

(٤١) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١٩٥—١٩٦ ،
Howorth, op. cit., 111, p. 201.

(42) Spuler, Les Mongols dans L'histoire, p. 45—46.

صمم بركة على الانتقام من هولاكو حتى سنحت له الفرصة بذلك(٤٣) . كما أن زوجة طوغاى بن باتو كانت ترغب فى تعيين ابنها خانا على القفجاق، ولما لم يوافقها المغول على ذلك وعينوا بركة راسلت هولاكو وأطمعته فى أخذ بلاد القفجاق(٤٤) . ثم ان هولاكو حرم بركة من نصيبه من غنائم الحرب حسب القاعدة المغولية التى سنها جنكيزخان(٤٥) . هذا فضلا عن دخول بلاد أران وتبريز ومراغة وهمدان داخل دولة مغول فارس التى أصبحت من نصيب هولاكو مع أن وصية جنكيزخان جعلت هذه البلاد من ارث ابنه جوش ، وكان من المفروض أن تؤول الى بركة ، ولعل تلك الأسباب كلها هى السبب فى اتهام بركة لهولاكو بالخروج على شريعة جنكيزخان المعروفة بالياسا(٤٦) . ومن أسباب الخلاف أيضا بين بركة وهولاكو هو أن بركة خان لم يؤيد قوبيلاى لمنصب الخاقان وناصر بدلا منه آخاه الصغير أريق بوقا ، أما هولاكو فكان من أشد المناصرين لقوبيلاى فنال منه بذلك فرمانا باقراره حاكما على البلاد التى فتحها من ضعاف

---

(٤٣) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٣٢ ، وانظر أيضا عن الخلاف بين مغول فارس والقفجاق : د. سرور : دولة الظاهر بيبرس ص ٩٢ هامش ٤ ،

Howorth, history of the Mongols, Part 11, p. 103—125.

(٤٤) العينى : عقد الجمان مجلد ٢٢ ص ١٨—١٩ .

(٤٥) وكانت القاعدة فى توزيع الغنائم هى أن ما يتحصل فى امبراطورية المغول من نهر جيحون والى الغرب يقسم خمسة اقسام : قسمان للقان الكبير، وقسمان للجيش ، وقسم لبيت باتو ، فلما مات باتو واصبح بركة خانا على القفجاق لم يرسل اليه هولاكو شيئا مما اخذه من العراق او الشام ، لمزيد من التفاصيل عن ذلك الموضوع انظر : اليونينى : مصدر سابق جـ ١ ص٤٩٧— ٤٩٨ ، ابن أيبك : مصدر سابق ص ٩٢ ، ابن ابى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٤٥ ،

D. Ayalon, The Great yasa of Chingiz khan, p. 174 — 175, in «Studia Islamica», vol. XXXIV,

(46) D. Ayalon, The Great yasa.., pp. 166—175, vol. XXXIV.

جيحون حتى ديار مصر والشام ، وأرسل قوبيلاى الى هولاكو ثلاثين ألفا من شباب المغول دعما له ؛ كما منحه لقب ايلخان وهو اللقب الذى توارثه خلفاء هولاكو من بعده[٤٧] • وعندما أرسل بركة الى بلاط هولاكو السفراء مطالبا بنصيبه فى الغنائم قام هولاكو بقتل الرسل فازدادت العلاقات سوءا بين الجانبين[٤٨] • وهكذا كان بركة خان هو الحليف الطبيعى لبيبرس ؛ فكلاهما عدو لدود لهولاكو وأبنائه من بعده ، وقد حث بيبرس فى رسائله بركة خان على قتال هولاكو حتى يشغل ايلخان فارس عن الهجوم على بلاد الشام • ومما جاء فى بعض رسائل بيبرس الى بركة « وليس الاسلام قولا باللسان ، والجهاد أحد ماله من أركان ؛ وقد توالت الأخبار بأن هلاون لأجل زوجته وكونها نصرانية أقام دين الصليب ، وقدم مراعاة دين زوجته على دينك ؛ وأسكن الجاثليق الكافر مواطن الخلفاء ايثارا لزوجته عليك •• »[٤٩] •

ومنذ سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م بدأت العلاقات بين بيبرس وبركة تسير بطريقة ودية ؛ وأخذ بيبرس يكرم وفود المغول القادمين الى مصر من رعايا بركة وهم مغول القبيلة الذهبية ، وعندما وقعت الحرب بين هولاكو وبركة أرسل الأخير الى الظاهر بيبرس سفارة تخبره باسلامه واسلام قومه ، وطلب بركة المساعدة بارسال قوات مملوكية الى جهة الفرات لامساك الطريق على هولاكو ، فرد عليه بيبرس ردا جميلا واحتفى برسله ، وأمر بأن يدعى لبركة خان فى مساجد مكة والمدينة والقدس

---

(٤٧) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ١ ص ٣٣٦ ، د. الصياد : المغول جـ ١ ص ٣٢٣ ،

Alessandro Bausani, The Persians from the earliest days to the twentieth Century, p. 111; Grigor of Akanc, History of the nation of the archers, p. 69—71.

(48) D. Ayalon, The Great yasa.., p. 174, vol. XXXIV.

(٤٩) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٨٩ ، ١٣٩—١٤٠ •

والقاهرة بعد الدعاء للملك الظاهر(٥٠) ، هذا فضلا عن الدور الهام الذى لعبته العناصر المغولية الوافدة من جنس بركة الى سلطنة المماليك فى التقريب بين الجانبين •

وكان طبيعيا ألا ينظر هولاكو الى علاقات بيبرس وبركة بعين الرضا، غير أن الظروف السياسية والعسكرية التى كانت فيها دولة مغول فارس فى تلك الفترة لم تمكن هولاكو من اتخاذ اجراء عسكرى ضد بيبرس ، فمن ناحية كان هولاكو فى حالة حرب مع مغول القفجاق ، ومن ناحية أخرى نشبت الاضطرابات فى المناطق التى استولى عليها هولاكو من قبل ، وهى الاضطرابات التى شجعت عليها هزيمة المغول فى عين جالوت.من ذلك ما حدث فى الموصل ، فقد مات بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل العجوز سنة ١٢٦١ م فدخل ابنه الصالح فى علاقات مع الظاهر بيبرس . فاضطر هولاكو الى ارسال جيش لاخضاع الموصل وظل يحاصرها قرابة عام حتى تمكنت قوات المغول من اقتحام المدينة حيث قضت على الصالح ابن بدر الدين لؤلؤ ، وفى فارس مات أيضا الأتابك أبو بكر الذى كان خاضعا للمغول ، وسلك خليفته سلجوق شاه سلوكا عدائيا ضد هولاكو ، فاضطر العاهل المغولى الى التدخل بقواته للقضاء على الثورة فى فارس(٥١) • وهكذا لم يكن فى امكان هولاكو التدخل مباشرة ضد الظاهر

---

(٥٠) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ١٧٠—١٧٤ ؛ النويرى : مصدر سابق ج ٢٨ ورقة ٢٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب مخطوط ج ٢ ورقة ١٣٥٦—١٣٥٩ ؛ المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٩٥—٤٩٨ ؛

Howorth, op. cit., 11, p. 118;

وعن العلاقات بين الظاهر بيبرس ومغول القفجاق انظر ايضا : د. حياة ناصر الحجى : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق فى الفترة ما بين ٦٥٨—٧٤١هـ/١٢٦٠—١٣٤١م • حولية كلية الآداب بجامعة الكويت الحولية الثانية ١٩٨١—١٤٠٠هـ ، ص ١٠—١٣ ؛ د. فايد عاشور : مرجع سابق ص ٧٥—٧٦ •

(51) Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 354.

بيبرس ؛ فطلب من ملك أرمينيا الصغرى حليف المغول القيام بهجوم على حدود دولة المماليك ، لكن هيثوم لقى الهزيمة مرتين على يد الجيش المملوكى فى بلاد الشام سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م[٥٢] • وعندما قام المغول فى أوائل عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م بالهجوم على البيرة ونصبوا عليها المجانيق أسرع بيبرس بارسال القوات الكافية لمواجهة المغول[٥٣] ، كما سار هو بنفسه على رأس قوات أخرى ووصل حتى صيدا . فانزعج المغول وأسرعوا بالانسحاب من البيرة ؛ فأمر بيبرس بعمارة ما خرب منها وأن يحمل اليها آلات القتال والأسلحة من مصر والشام . وأن يعبأ فيها كل ما يحتاج اليه أهلها فى الحصار مدة عشر سنين[٥٤] • وقد استغل بيبرس فرصة وجوده على رأس جيشه فى بلاد الشام وهاجم المراكز الصليبية واستولى على عدة قلاع وحصون هامة مثل قيسارية وعثليث وأرسوف ، كما هاجمت قواته مدينة حيفا وقلعتها[٥٥] • وهكذا نجح بيبرس خلال السنوات الأولى من حكمه فى مقاومة هولاكو وافشال خططه ضد سلطنة المماليك ، كما نجح أيضا فى تقليم أظافر الصليبيين فى بلاد الشام •

ومات هولاكو فى سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م فخلفه ابنه أبغا الذى شغلته الحرب فى سنوات حكمه الأولى ضد القبيلة الذهبية من ناحية ، وضد

...

---

(٥٢) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥١٠—٥١١ •

(٥٣) ابن ابى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٧٣—٤٧٤ ؛ ابن أيبك : مصدر سابق ص ١٠٧ ، أبو شامة : مصدر سابق ص ٢٣٣ ، النويرى : مصدر سابق جـ ٢٨ ورقة ٨٠ ، ٨١ • ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ ١٠ ص ٨٣١.

(٥٤) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٢٢١—٢٢٦ ؛ المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٢٥.

(٥٥) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٢٣٤—٢٤٣ ، اليونينى : مصدر سابق جـ ٢ ص ٣١٨—٣١٩ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٢٥— ٥٣٠ •

الجغطائيين من ناحية أخرى(٥٦) ؛ مما منعه من اتخاذ موقف عدائى صريح من الظاهر بيبرس • وكان أبغا بوذيا مثل والده ومعاديا للاسلام والمسلمين ، وسار أيضا على سياسة محالفة المسيحيين الشرقيين من النساطرة والأرمن ضد سلطنة المماليك فى مصر والشام(٥٧) • وقد انتهز بيبرس هذه التطورات فى دولة مغول فارس واسترخاء النشاط العسكرى على جبهته الشرقية وشدد الضغط على القوى الصليبية فى بلاد الشام استمرارا لسياسة الجهاد التى وضعها منذ توليه الحكم • وفى خلال الفترة ٦٦٤—٦٦٥هـ/١٢٦٥—١٢٦٦م أرسل قواته العسكرية للاغارة على عكا وصور وعرقة وطرابلس وحصن الأكراد(٥٨) • كما قاد بيبرس بنفسه الهجوم على صفد واستولى عليها • وعلى قارة وهى بين دمشق وحمص • وكانت منزلا للتجار ، وطرد من فيها من الصليبيين ، ونقل اليها مسلمين لتعميرها ، كما استولى على يافا وقلعتها وطرد الصليبيين منها الى عكا ، واستولى أيضا على الشقيف والباشورة • ثم توج جهاده بالاستيلاء على

---

(٥٦) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ٢ ص ١٣ ، ١٤ ،

Sykes, p, Ahistory of Persia, vol. 11, p. 100—101; Grousset, L'empire des steppes, p. 444; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, pp. 356—357.

(57) Grousset, L'empire des steppes, p. 442—443; Bertold Spuler, Les Mongols dans L'histoire, p. 56—57.

وقد سرت شائعة بأن أبغا عمد فى الكنيسة بناء على رغبة عروسه دسبينا Despina ابنة الامبراطور البيزنطى ميخائيل باليولوجوس • انظر :

Browne, Alite rary history of Persia, volume 111, p. 18.

(٥٨) ابن ابى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٩٠—٤٩١ ، اليونينى : مصدر سابق ج ٢ ص ٣٣٧ •

انطاكية سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م(٥٩) م • ولم ينس بيبرس فى معاركه هـذه تأديب الأرمن لتحالفهم الوثيق مع أعدائه مغول فارس ، فهاجمت قواته بقيادة الملك المنصور نائب حماة منطقة سيس فى أرمينية الصغرى(٦٠) ، كما استطاعت قوات المماليك أيضا انزال الهزيمة بالأمير الأرمنى ليفون بن الملك هيثوم واستولت على عدة مدن أرمينية هامة • ولم تفلح مساعدات أبغا للملك الأرمنى فى مقاومة المماليك ، فاضطر هيثوم فيا بعد الى عقد معاهدة سلام مع بيبرس سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨ م أعاد هيثوم بمقتضاها الى السلطان عدة حصون هامة كان المغول قد استولوا عليها فى حملاتهم السابقة وأعطوها لملك الأرمن(٦١) •

وكان لانتصارات بيبرس على الصليبيين أثر كبير على العلاقات مع مغول فارس ، فقد أقنعت أبغا بأهمية عقد الصلح مع المماليك تجنبا لمواجهة عسكرية مع بيبرس الذى بدأ كأنه القوة العظمى فى المنطقة ، هذا فى الوقت الذى لا تسمح ظروف أبغا بنشوب تلك المواجهة نظرا لاستمرار

---

(٥٩) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٢٥٤—٢٦١ ، ٢٩٢—٢٩٤ ، ٣٠٧—٣٠٨ • ، ابن أيبك : مصدر سابق ص ١١٧ ، ١١٩—١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦ • ، اليونينى : مصدر سابق جـ ٢ ص ٣٣٧—٣٣٨ ، ٣٤٤ • ، أبو الفداء: مصدر سابق جـ ٤ ص ٣—٥ ، المقريزى: مصدر سابق جـ١ ق٢ ص٥٤٥—٥٤٨، ص ٥٦٦—٥٦٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ١٣٩—١٤٠ ، ١٤٢— ١٤٣ • ، ابن أبى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ — ٥٠٨ •

(٦٠) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٢٦٩—٢٧١ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٥٢ ، ابن أبى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٩٣ •

(٦١) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٣٢٧—٣٢٨ ، أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٤ ص ٥ ،

Howorth, op. cit., 111, p. 227—228;

Blochet, Moufazzal Ibn Abil-Fazail, Histoire des sultans Mamlouks, Introduction par E. Blochet, p. 382—383, in «Patrologia orientalis, Tome XII».

تهديدات المغول الجغطائيين بقيادة براق لاحتلال خراسان وكل شرق ايران هذا فضلا عن حروب مغول القفجاق التى لم تنقطع ضد فارس (٦٢) • لذلك أرسل أبغا رسالة الى بيبرس خلط فيها اللين بالشدة والسياسة بالتهديد بالحرب ، لكنه فى نهايتها طلب عقد معاهدة صلح بين الجانبين ، لكن الظاهر بيبرس لم يهتز لهذه الرسالة ، بل رد بسرعة على أبغا برسالة أخرى أقوى منها • وهكذا استمر العداء بين أبغا والظاهر (٦٣) •

وكان بيبرس قد سعى بعد وفاة بركة خان القفجاق سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦ م الى مراسلة خليفته منكوتمر واغرائه بالاستمرار فى سياسة بركة المعادية لهولاكو وأبنائه (٦٤) • وقد نجحت سياسة الظاهر بيبرس فى ذلك نجاحا ملحوظا ، وتوثقت علاقاته مع معظم أمراء بيت بركة ، ومما يدل على ذلك أن بيسو نوغاى قائد جيش مغول القفجاق كتب الى الظاهر بيبرس يخبره باسلامه ويطلب مواصلة العلاقات بين الجانبين ، ويقول له فى ذلك « فلا تقطع ارسال المكاتبة عنا ، فنحن معك كالأنامل لليد ، نوافق من يوافقك ، ونخالف من يخالفك » • وقد رد عليه الظاهر بيبرس ردا حسنا (٦٥) • أما أبغا فقد اتجه الى القوى المسيحية وهى الحليف الطبيعى للمغول فى تلك الفترة من أجل التنسيق العسكرى بينهما للعمل

---

(62) Blochet, op. cit., p. 383.

(٦٣) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٣٤٠ــ٣٤١ •

ونصوص هذه الرسائل مختلفة فى المصادر العربية : انظر : ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ١٤٤ــ١٤٥ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٧٤ ، ابن أيبك : مصدر سابق ص ١٣٩ــ١٤٠ ، ابن كثير : مصدر سابق جـ ١٣ ص ٢٥٤ •

(٦٤) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٦١ ، ٥٦٣ ، د. سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٢٢٨ •

(٦٥) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٣٧١ــ٣٧٢ •

المشترك ضد سلطنة المماليك ، فاتصل أبغا بالامبراطور البيزنطي ميخائيل باليولوجوس[٦٦] ، بل ان أبغا أرسل سفراءه للتحالف مع الغرب الأوربى ، وبوجه خاص بعد فشل هجوم للمغول على شاطىء نهر الساجور — بجهات منبج بالقرب من حلب — فى صفر سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م . وقد تردد وقتها خبر خروج قوة صليبية من الغرب الأوربى لمعاونة الصليبيين فى الشام وأبغا ايلخان فارس[٦٧] . ومهما كان الأمر فقد فشلت المساعدات الصليبية القادمة من الغرب فى الوصول الى بلاد الشام بعد أن حطمت الرياح السفن التى تحملها[٦٨] .

وقرر بيبرس تأديب الصليبيين فى بلاد الشام لقطع خطر الرجعة عليهم فى التفكير فى محالفة أبغا . ونجح بيبرس فى انزال الهزيمة بالصليبيين فى الشام فى منطقة المروج بين دمشق وجسر يعقوب فى ربيع الثانى من عام ٦٦٨ هـ/ديسمبر ١٢٦٩م[٦٩] ، كما تمكن فى العام التالى ٦٦٩هـ/١٢٧٠م من الاستيلاء على عدة حصون هامة كانت فى يد الصليبيين مثل حصن الأكراد معقل الاسبتارية ، وحصن عكار ، وحصن القرين[٧٠] ، ثم فرض شروط الصلح على حصون أخرى مثل حصن الداوية

---

(66) Grousset, L'empire Mongole, p. 375.

(٦٧) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٨٤—٥٨٥ . ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ١٤٧—١٤٩ . وقد اشار ابن خلدون الى أن صمغان قائد المغول فى بلاد الروم راسل الفرنج من اجل الهجوم المشترك على الشام ، وقد هاجم صمغان نواحى حلب ، ولكن عندما وصل الظاهر بيبرس الى دمشق انسحب المغول . انظر : ابن خلدون : كتاب العبر مجلد ٥ جـ ١٠ ص ٨٤٠ .

(٦٨) المقريزى : مصدر سابق جـ١ ق٢ ص٥٨٤—٥٨٥، ابن عبدالظاهر : مصدر سابق ص ٣٦٢ .

(٦٩) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٨٥ ، ابن خلدون : مصدر سابق مجلد ٥ جـ ١٠ ص ٨٤١ ، ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٣٦٢—٣٦٣

(٧٠) ابن أبى الفضائل : مصدر سابق ص ٥٢٨ ، ٥٣٢—٥٣٣ ، ٥٣٩—٥٤٣ . ، ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٣٧٤ — ٣٧٥ ، ٣٧٩—٣٨٠ ، ٣٨٥—٣٨٦ . ، أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٤ ص ٦ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق٢ ص ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ .

فى أنطرطوس وحصن الاسبتارية فى المرقب ، وعلى مدينة طرابلس[٧١] ، كما طلبت مدينة صور الصلح[٧٢] . ونتيجة لمساعدة حاكم قبرس لأهل عكا أمر بيبرس بارسال حملة بحرية الى الجزيرة غير أنها لم تنجح بسبب العواصف التى حطمت السفن المصرية فى ميناء ليماسول ، فوقع معظم رجال الحملة أسرى فى يد حاكم قبرس[٧٣] . ولم تلبث عكا أن طلبت هى الأخرى الصلح مع السلطان بيبرس عام ٦٧٠هـ/١٢٧١ م بعد أن خضعت معظم المدن الصليبية فى الشام اما صلحا واما بالسيف[٧٤] .

واعتقد أبغا بعد انتصاره على الجغطائيين[٧٥] أنه يمكنه مواجهة سلطنة المماليك والانتقام لما حل بجيوش المغول فى معركة عين جالوت

---

(٧١) ابن ابى الفضائل : مصدر سابق ص ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ١٥١—١٥٢ .

(٧٢) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٣٨٩ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٩٥ .

(٧٣) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٣٨٦—٣٨٧ ، ابن أبى الفضائل: مصدر سابق ص ٥٤١—٥٤٢ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٥٩٣— ٥٩٤ ،

Ziada, Foreign relations of Egypt in the Fifteenth Century, vol. I, p. 131.

(٧٤) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٠١ .

(٧٥) انتصرت قوات ابغا بقيادة سوبتاى Subutay على براق خان الجغطائيين ، ثم قتل براق على يد منافسه قايدو انظر :

Browne, op. cit., 111, p. 25;

خواندمير : دستور الوزراء ترجمة د. حربى أمين سليمان (ضمن كتاب : المؤرخ الايرانى الكبير غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء) ص ٣٣٣ وانظر ايضا : د. عبد السلام عبد العزيز فهمى : مرجع سابق ص ١٥٦ .

واعادة سمعة المغول الحربية الى ما كانت عليه من شهرة ومجد . فأرسل قواته فى ربيع الأول من عام ٦٧٠هـ/أكتوبر ١٢٧١ م بلاغارة على القرى المتقدمة فى بلاد الشام بالقرب من الفرات مثل عين تاب ثم عمق الحارم لكن قوات المماليك استطاعت الحاق الهزيمة بهم(٧٦) • وخشى أبغا من انتقام الظاهر ، فأسرع بارسال سفرائه فى شوال من نفس العام طالبا الصلح • وقرر الظاهر بيبرس القاء الرعب فى قلب أبغا حتى لا يفكر فى الهجوم مرة أخرى على بلاد الشام ، فأرسل اليه رسالة ذكر فيها أن منكوتمر خان القفجاق يلح عليه فى الاشتراك فى الهجوم على أراضى مغول فارس ، وقال سفير الظاهر لأبغا « وأين وصلت خيل سلطاننا كان له. وأين وصلت خيل منكوتمر كان له » ، وقد انزعج أبغا من ذلك الحديث انزعاجا بالغا ، ودعا كبار أمرائه للتشاور فى كيفية مواجهة الموقف(٧٧) • وهنا لجأ أبغا الى المناورة ، فأرسل من جديد سفراءه الى القاهرة فى صفر من عام ٦٧١هـ/سبتمبر ١٢٧٢م طاليا بدء المفاوضة من أجل الصلح على أن يكون الأمير سنقر الأشقر وسيطا فى ذلك ، ثم غير السفراء كلامهم واقترحوا شروطا يتعذر قبولها من جانب الظاهر بيبرس ، اذ طلبوا أن يكون السلطان نفسه أو من يليه فى المنزلة هو الذى يتوجه الى فارس لعقد الصلح المطلوب • ولكن السلطان الذى كان يعلم التهديدات التى يواجهها ابغا من قبل مغول القبيلة الذهبية ومن قبل المغول الجغطائيين الطموحين دائما الى الاستيلاء على خراسان ومازندران ، رد على سفراء أبغا قائلا «بل أبغا اذا قصد الصلح يمشى هو فيه أو أحد من أخوته»(٧٨) •

---

(٧٦) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٠٠ .

(٧٧) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٣٩٩ — ٤٠٠ .

(٧٨) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٤٠٤ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٠٥ ، د. سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ص ٩٩ ،

Blochet, op. cit., p. 384.

ثم أمر بيبرس بتعبئة قواته وأعاد السفراء المغول الى فارس ، عندئذ كشف أبغا عن نواياه الحقيقية وهاجمت قواته منطقة البيرة والرحبة على الحدود بين الدولتين وذلك فى جمادى الأولى من نفس العام ٦٧١ هـ/ ديسمبر ١٣٧٢ م ونصب المغول عليهما المجانيق ، واحتلوا مناطق العبور على نهر الفرات كى يمنعوا قوات السلطان من الوصول . غير أن تلك الاجراءات كلها لم تمنع الظاهر بيبرس من اقتحام الفرات على ظهر سفنه التى أحضرها معه حيث دارت معركة كبيرة أبلى فيها الأمير قلاوون الألفى بلاء حسنا حتى انتهت بهزيمة ساحقة للمغول وانتصار كبير للظاهر بيبرس الذى صلى فى منزلة العدو شكرا لله ، ثم بعث قواته يمينا ويسارا لتعقب فلول المغول الذين لاذوا بالفرار تاركين خلفهم أثقالهم وأزوادهم(٧٩) .

وظل بيبرس حريصا على ألا يباغته أبغا بهجوم مفاجىء على بلاد الشام ، ففى أوائل عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م علم بيبرس وهو فى طريقه الى بلاد الشام بوصول أبغا الى بغداد ، فأرسل بيبرس على الفور الى القاهرة واستدعى جيشه . وعند يافا رتب بيبرس قواته استعدادا للقتال. ويبدو أن أبغا قد نما الى علمه حجم القوات التى أعدها بيبرس فآثر العودة الى عاصمته فى فارس تجنبا للصدام مع المماليك ، عندئذ أمر بيبرس هو الآخر قواته بالعودة الى مواقعها فى مصر(٨٠) . وفى العام التالى اتخذ بيبرس من مخالفة ملك أرمينيا حليف المغول لشروط الهدنة

---

(٧٩) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ٤٠٥—٤٠٨ ، المقريزى : مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٦٠٥—٦٠٧ ، ابن أبى الفضائل : تاريخه ص ٣٧٥ — ٣٨٠ ، فى :

Patrologia orientalis, Tome XIV, 1920.

وانظر أيضا عن هذه المعركة : ابو الفداء : مصدر سابق ج ٤ ص ٧ ، ابن أيبك : مصدر سابق ص ١٦٩—١٧٠ .

(٨٠) ابن أبى الفضائل : مصدر سابق ص ٣٨١—٣٨٢ فى :

P. O.r., Tome XIV.

الموقعة معه قبل ذلك ، اذ قطع الهدايا المقررة عليه لسلطان مصر ، ومنع وصول الأخبار الصحيحة عن تحركات المغول ، وجدد حصونه وقلاعه ، وصارت قواته ترتدى زى المغول وتهاجم القوافل التجارية[٨١] ، اتخذ بيبرس من كل ذلك ذريعة لمهاجمة أرمينيا فى رمضان سنة ٦٧٣ هـ/١٢٧٥م حيث استولى على اياس وأذنه والمصيصة ، ثم عاد بكثير من الأسرى والغنائم[٨٢] ، وبذلك تمكن السلطان المملوكى من تجميد قوة ملك أرمينيا وابعاده عن الاشتراك فى المعارك التالية ضمن صفوف المغول[٨٣] .

وأدرك أبغا أنه لابد من تحالف وثيق الصلة مع الغرب الأوروبى يتيح له القيام بعمل عسكرى مشترك لكسر شوكة المماليك أعداء المغول والصليبيين ، فكتب الى البابوية سنة ١٢٧٣ م والى ادوارد الأول ملك انجلترا من أجل ذلك ، كما توافد سفراؤه على الغرب الأوروبى سنة ١٢٧٤م وسنة ١٢٧٦م وسنة ١٢٧٧م لحث البابوية وملوك أوربا وأمرائها من أجل عقد تحالف مع المغول ضد المماليك ، لكن تلك الجهود كلها ذهبت سدى وكما فشلت جهود هولاكو من قبل فى هذا السبيل ، فشلت أيضا جهود

---

(٨١) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٤٣٢—٤٣٦ .

(٨٢) ابن ابى الفضائل : مصدر سابق ص ٣٨٩—٣٩٢ فى :

P. Or. XIV.;

ابن ايبك : مصدر سابق ص ١٧٧—١٧٨ ، ابو الفداء : مصدر سابق ج ٤ ص ٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج ٧ ص ٢٩—٣١ ، النويرى : نهاية الأرب ج٢٨ ورقة ١٠٥—١٠٦ .

(٨٣) د. عبد السلام عبد العزيز فهمى : مرجع سابق ص ١٥٩ ،

وعن تطور العلاقات بين سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى انظر : د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٢٢٥— ٢٧٨ .

أبغا . فلم يتـلق ردا ايجابيا على مشروعاته واقتراحاته من الغـــرب الأوربى(٨٤) .

وتجدد الصدام بين مغول فارس والمماليك فى ميدان جديد هو بلاد سلاجقة الروم التى كانت تحت حماية المغول بسبب ضعف سلاطينها . وقد اضطربت أمور تلك البلاد بسبب تدخل المغول المستمر فى شئونها ، ولمـا ضاق الوزير « بروانـاه » ذرعا من وجود القادة المغول والحامية المغولية سعى لايقاع المغول والمماليك فى معركة حربية كبيرة . وهكذا فانه فى الوقت الذى أرسل فيه وفدا الى بيبرس فى سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م يحرضه للقدوم الى بلاد الروم(٨٥) ، فانه أى البروانـاه اتصل بالقائد المغـولى فى بلاد الروم وأفهمه أن السلطان عز الدين شريك غياث الدين كيخسرو فى السلطنة متحالف مع سلطنة المماليك(٨٦) . وعندما نشبت المعركة فى شهر ذى القعدة سنة ٦٧٥هـ/ابريل — يونية ١٢٧٧ م ظهر البروانـاه على رأس قواته من السلاجقة ضمن جيش المغـول . ويبدو أن المغـول قد انتابتهم الشكوك فى نوايا معين الدين البروانـاه،لذلك فأنهم صفوا قواتهم أحد عشر طلبا ، فى حين عزلوا قوات الروم عنهم وجعلوها طلبا بمفرده « لئلا يكون مخامرا عليهم » لكون السلاجقة مسلمين مثل المماليك(٨٧) .

---

(84) Grousset, L'empire des steppes, p. 445; Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 363; Browne, op. cit., 111, p. 19; Jean Richard, le debut des relations entre la Papaute et les Mongols de Perse, p. 291—297, in «Journal Asiatique Annèe 1949».;

د. فهمى : مرجع سابق ص ١٥٩ .

(٨٥) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ٢ ص ٦١، ٦٥ . ، وانظر أيضا ابن العبرى : مصدر سابق ص ٥٠١—٥٠٢ .

(86) Blochet, op. cit., p. 385.

(٨٧) ابن ابى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٢٣—٤٢٨ فى :
P. Or. XIV ;

ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٤٥٨ ، ابن أيبك : مصدر سابق ص ١٩٨ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٢٨ .

ومهما كان الأمر فقد أعد الظاهر قواته اعدادا جيدا . وحشد كل قــوات نيابات مملكته . وأجرى لقواته فى مصر قبل تحركها مناورات عسكرية تدريبية على الكر والفر والطعن ، واشترك فيها السلطان بنفسه وابنه الملك السعيد[٨٨] . فحقق الظاهر وجيشه الانتصار الساحق على المغول وحلفائهم سلاجقة الروم فى المعركة التى دارت قرب الأبلستين فى منطقة جبال طوروس ، وقتل من المغول عدد يقدر بسبعة آلاف رجل ، هذا على الرغم من كثرة قوات المغول التى كانت تتزيد على أربعين ألف جندى[٨٩] .

ودخل الظاهر بيبرس مدينة قيسارية مقر حكم ســلاجقة الروم ودار سلطنتهم وجلس على تخت آل سلجوق[٩٠] ، وضرب السكة وجعل

---

(٨٨) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٢٦ــ٦٢٨ .

(٨٩) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٢٩ ، ابو الفداء : مصدر سابق جـ ٤ ص ٩ ، النويرى : مصدر سابق جـ ٢٨ ورقة ١١٠ــ١١٢ ، ابن الوردى : مصدر سابق جـ ٢ ص ٣١٩ــ٣٢٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٧ ص ١٦٦ــ١٧٣ ، رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ٢ ص ٦٢ ،

Howorth, op. cit., 111, 253—255; S.lane Poole, op. cit , p. 270—271; Browne, op. cit., 111, p. 19;

وقد جاء فى تاريخ الشيخ اويس أن البروانأة الذى كان يميل الى الظاهر بيبرس وسعى الى التحالف معه ، أعطى أى البروأناه للجيش المغولى وللقادة المغول كمية كبيرة من النبيد فى ليلة المعركة مما جعلهم ينامون مخمورين ، وفى الصباح جاء المصريون بقيادة الظاهر بيبرس البندقدار وهزموا المغول وقتلوا الأمراء . انظــر :

J. B. Van loon, Tarikhi- Shaik uwais, p. 38.

(٩٠) ابن ايبك : مصدر سابق ص ٢٠١ــ٢٠٢ ، المقريزى : مصــــدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٣١ .

الخطبة فى مساجد قيسارية باسمه(٩١).

أما البرواناه الذى لاذ بالفرار الى توقات فانه حاول من جديد خديعة الظاهر وربما أبغا أيضا ، اذ أرسل الى الظاهر يهنئه بجلوسه على تخت السلاجقة ، فأرسل اليه الظاهر يستدعيه ليقره فى مكانه . لكن البرواناه طلب مهلة مدتها خمسة عشر يوما فى الوقت الذى أرسل الى أبغا يحثه على سرعة القدوم بنفسه لقتال الظاهر بيبرس بعد أن أجهدته المعركة ، فلما علم بيبرس بذلك أدرك خديعة البرواناه وأسرع بالرحيل عن قيسارية(٩٢) ، وبوجه خاص بعد أن نقصت المؤن لديه(٩٣) ، ولم ينس بيبرس فى حملته هذه أن يرسل قوات لتأديب الأرمن الذين أخفوا المغول الهاربين من المعركة(٩٤) .

وعندما وصلت أخبار الهزيمة التى حاقت بقوات المغول أسرع أبغا بالذهاب على رأس قواته الى ميدان المعركة ، فهاله كثرة القتلى من المغول وقلتهم من السلاجقة والمماليك ، وزادت شكوكه فى البرواناة ، وبوجه خاص بعد أن وشى اليه أن البرواناه هو الذى كاتب الملك الظاهر وحثه على

---

(٩١) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ٢ ص ٦٢ ، ابو الفداء : مصدر سابق جـ ٤ ص ٩ ، ابن ايبك : مصدر سابق ص ٢٠١—٢٠٢ .

(٩٢) ابن ابى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٢٩—٤٣٧ فى
P. Or. XIV.

ابن ايبك : مصدر سابق ص ٢٠٢ ، المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٣١ ،

William Muir, The Mameluke or slave Dynasty of Egypt, p. 29.

(٩٣) ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ص ٤٦٧ ، رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ٢ ص ٦٢ ، أبو الفداء : مصدر سابق جـ ٤ ص ٩ .

(٩٤) المقريزى : مصدر سابق جـ ١ ق ٢ ص ٦٣١ .

القدوم[٩٥] ، فانقلب أبغا على البرواناة وسلاجقة الروم جميعا . ونهب قيسارية وقتل عددا كبيرا من المسلمين فيها بما فيهم الفقهاء والقضاة[٩٦]، هذا فى حين لم يتعرض للنصارى . ثم أمر أبغا بقتل البرواناه وأخضع سلاجقة الروم لحكم المغول المباشر وعين على بلاد السلاجقة أخاه الذى أصبح بمثابة الحاكم العام[٩٧] .

وعزم أبغا على الزحف على بلاد الشام للانتقام من الظاهر بيبرس ، لكن الأمراء المغول نصحوه بالكف عن ذلك ، وأن يؤجل هجومه الى الخريف أو الشتاء[٩٨] ، فاقتنع أبغا بذلك الرأى ، وبوجه خاص بعد أن نلفت أكثر خيوله فرأى فى نفسه العجز عن مواجهة سلطان مصر[٩٩] . ولكى يبرر عجزه أرسل أبغا الى الظاهر رسالة مملوءة بالتهديد والوعيد جاء فيهـا « انكم تنقضون فجأة كاللصوص وتطاردون فرساننا وطلائعنا وتقتلون بعضهم ، فاذا ما بلغتنا الأخبار وتحركنا لصدكم تفرون كاللصوص ، فاذا كنتم تريدون لقاءنا وقتالنا ، فادخلوا الميدان كالرجال وثبتوا الأقدام ..

---

(٩٥) المقريزى: مصدر سابق ج ١ ق ٢ ص ٦٣٣ ، ابن كثير: مصدر سابق ج ١٣ ص ٢٧٤ .

(٩٦) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ٢ ص ٦٣ . ابن أبى الفضائل : مصدر سابق ص ٤٣٣—٤٣٧ فى P. Or. XIV. ، أبو الفداء : مصدر سابق ج٤ ص ٩—١٠ ، النويرى : مصدر سابق ج ٢٨ ورقة ١١٤ — ١١٥ ، بيبرس الدوادار : مصدر سابق مجلد ١ ص ١٤٢ .

Van Loon, op. cit., p. 38; Sykes, op. cit., 11, p. 102.

(٩٧) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ ج ٢ ص ٦٤ ،
Blochet, op. cit., 388.

(98) Camb. Hist. of Iran, vol. 5, p. 361.

(٩٩) ابن أيبك : مصدر سابق ص ٢٠٥ .

وان لم تأت فان جيوشنا مستعدة لقتالك فى طليعة الشتاء ، واذا امتدت نار غضبنا الى بلاد الشام فانها بلا ريب سوف تأتى على كل ما لكم من أخضر ويابس لأن الله الأزلى قد وهب لجنكيزخان وذريته بلاد العالم ، وأدخل السراة المتمردين فى ربقة طاعتنا . وكل من يخالف أهل الاقبال تكون مخالفته دليلا على الادبار »[١٠٠] .

غير أن الظروف لم تساعد أبغا على تحقيق تهديده بالانتقام من الظاهر بيبرس ، اذ مات الظاهر فى المحرم من سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧ م ، وبذلك أسدل الستار على عصر من عصور العلاقات بين المماليك والمغول ، وبدأ عصر جديد .

---

(١٠٠) رشيد الدين : جامع التواريخ مجلد ٢ جـ ٢ ص ٦٣—٦٤ .

خاتمة

كشفت الدراسة التفصلية لهجمات المغول على العالم الاسلامى منذ أوائل القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى عن عدة حقائق تاريخية نوجزها فيما يلى :

١ – ان امبراطورية المغول التى أسسها جنكيزخان كانت دولة عنصرية ، اذ لم يكن جنكيزخان يهدف الى رفع قبيلته فوق كل قبائل منغوليا فقط ، بل كان يهدف أيضا الى السيطرة على العالم بأسره ؛ لأنه كان يعتقد بأن السماء هى التى أمرته بذلك • ومن ثم فان حادث أوترار الذى أشار اليه المؤرخون كثيرا على أنه السبب الرئيسى فى غزو جنكيزخان لأراضى الدولة الخوارزمية لم يكن فى حقيقة الأمر سوى ذريعة تعلل بها جنكيز لشن الحرب على السلطان محمد خوارزم شاه ، والدليل على ذلك هو مواصلة المغول القضاء على باقى القوى الاسلامية واسقاط الخلافة العباسية التى لم تكن تشكل أى خطورة على المغول من ناحية ؛ وقيام المغول بغزو الصين وأوربا من ناحية أخرى •

٢ – ان السياسة الغير حكيمة للسلطان محمد خوارزم شاه ثم ابنه جلال الدين قد قضت على امكانية توحيد الجبهة الاسلامية فى مواجهة الخطر المغولى ، فتهديد السلطان محمد خوارزم شاه للخلافة العباسية ، وتمزيق جيشه الى وحدات صغيرة بسبب عدم ثقته فى قواته قد حال دون مواجهة المغول بفاعلية عسكرية • صحيح أن الخلافة العباسية كانت قد تدهورت من الناحية العسكرية لكنها كانت تملك قوة روحية هائلة فى توحيد القوى الاسلامية المتناثرة ودفعها لمواجهة الخطر المغولى ، كما أن الجيش الخوارزمى كان كثير العدد ، ولو واجه به السلطان الخوارزمى

المغول فى معركة حاسمة لتغيرت نتيجة الصراع • أما السلطان جلال الدين فقد ساءت علاقته بكثير من الأمراء والحكام المسلمين بسبب نهبه وتدميره البلاد حتى تحالف هؤلاء ضده وألحقوا به الهزيمة • وهكذا فانه عندما حان اللقاء الحاسم مع المغول فشل جلال الدين فى استنهاض همم أمراء المسلمين للوقوف معه فى الحرب •

٣ — مهارة المغول فى استخدام العامل النفسى فى حروبهم لقهر أعدائهم ؛ فقد كان للمغول دائما عملاء فى كل بلد ينوون فتحه ، يمهدون لهم ويثبطون الهمم ، ويشوشون على أى محاولة لقتال المغول بحجة عدم جدوى قتالهم لأنهم لا يهزمون قط • وقد أشرت الى كثير من هؤلاء فى ثنايا البحث • وساعد على رواج ذلك العامل النفسى ما اشتهر به المغول من أعمال وحشية بربرية فاقت كل تصور من هلك الحرث والنسل ؛ وقتل عام عشوائى لا يبقى ولا يذر • وقد أشرت الى بعض الأعمال الوحشية وآثارها المادية والمعنوية فى البلاد التى غزاها المغول •

٤ — ان انتصار المماليك على المغول فى عين جالوت ومهما كانت أسبابه — مثل عودة هولاكو ؛ وضعف القوة العسكرية التى كانت مع كيتوبوقا — قد غير مجرى التاريخ للعالم الاسلامى بأسره ؛ ونفخ فى المسلمين روحا جديدة للجهاد بعد أن بدد خرافة أن المغول لا يهزمون قط فى المعارك • ومن ثم كان ذلك النصر زادا لسلاطين المماليك والمسلمين بوجه عام فى مواجهة هجمات المغول التى تجددت بعد عين جالوت ؛ هذا فضلا عن الأثر المعنوى الكبير على المغول أنفسهم ، فبعد محاولات فاشلة عديدة للمغول فى الحاق الهزيمة بسلاطين المماليك ، نجد هؤلاء المغول يعتنقون الاسلام ، دين السلاطين المماليك الذين أذلوا المغول وألحقوا بهم الهزيمة • أما مصر فقد أصبحت بعد عين جالوت الحصن الحصين للتراث الاسلامى والثقافة الاسلامية •

٥ — ان الظاهر بيبرس الذى استولى على الحكم فى مصر بعد قتل قطز قد وضع الأساس القوى لبنيان دولة المماليك ، وحدد استراتيجية تلك الدولة فى سياستها الخارجية والتى تتلخص فى مواصلة الجهـاد لافشال خطط مغول فارس من ناحية ، ومواصـلة الضغط على القـوى الصليبية فى بلاد الشام ومحاولة تصفيتهم من ناحية أخرى • واستخدم بيبرس فى تنفيذ سياسته هذه كل الوسائل المتاحة له عسكريا وسياسيا ؛ ونجح فى ذلك نجاحا ملحوظا ، فألحق الهزائم العديدة بمغـول فارس الوثنين ، وتحالف مع خانات مغول القفجاق المسلمين ، وعقد معاهدات عديدة مع القوى الأوربية فى الوقت الذى تمكن من الاستيلاء على كثير من الحصون الصليبية فى بلاد الشام ، ومن ثم مهد بيبرس السبيل لمن خلفه من سلاطين المماليك لاتمام تنفيذ هذه الاستراتيجية بنجاح •

قائمة المصادر والمراجع

(أ) مصادر عربية وفارسية معربة

ابن أبى الفضائل : مفضل بن أبى الفضائل ت (بعد سنة ٧٣٥ هـ)

١ ــ تاريخ ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد) نشره بلوشيه فى :

Patrologia orientalis, Tome XII, XIV, XX, 1911—1928.

ابن اياس : محمد بن أحمد ابن اياس المصرى ت (٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م)

٢ ــ بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الجزء الأول تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٢ــ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ــ١٩٨٣ م .

ابن أيبك الدوادارى : أبو بكر بن عبد الله ت (بعد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)

٣ ــ كنز الدرر وجامع الغرر . الجزء الثامن منه المعروف باسم « الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية » . تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١ م ، المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة .

ابن الأثير : أبو الحسن على بن محمد ت (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

٤ ــ الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ طبعة دار صادر ، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ م .

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت (٨٧٤هـ/١٤٧٠م)

٥ — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

٦ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج ٢ منه ، تحقيق د. محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

٧ — كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٣ م .

ابن شاكر الكتبى : محمد بن شاكر بن احمد ت (٧٦٤هـ/١٣٦٣م)

٨ — فوات الوفيات ، جزءان ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٥١ م .

ابن شداد : عز الدين أبو عبد الله محمد بن على بن ابراهيم ت (٦٨٤ هـ)

٩ — الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، نشره دومينيك سورديل ، المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق ١٩٥٣ م .

ابن الطقطقى : محمد بن على بن طباطبا ت (٧٠١هـ/١٣٠١م)

١٠ — الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، القاهرة ١٣١٧ هـ

ابن طولون : شمس الدين محمد بن على بن طولون ت (٩٥٣هـ/١٥٤٦م)

١١ — اعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق عبد العظيم خطاب — مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٢ م .

ابن عبد الظاهر : محيى الدين بن عبد الظاهر ت (٦٩٢هـ/١٢٩٢م)

١٢ — الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر — الرياض ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

ابن العبرى : غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطى ٦٨٥هـ/١٢٨٦ م

١٣ — تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠ م .

ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤ م

١٤ — تاريخ الدول والملوك جـ ٧ تحقيق قسطنطين زريق وآخرين ، بيروت ١٩٤٢ م .

ابن فضل الله العمرى : شهاب الدين أحمد بن يحيى ٧٤٩هـ/١٣٤٩ م

١٥ — التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ١٣١٢ هـ .

ابن الفوطى : كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن الفوطى البغدادى ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣ م

١٦ — الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة . بغداد ١٣٥١ هـ .

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣ م

١٧ — البداية والنهاية — دار الفكر العربى ، نسخة مصورة عن طبعة القاهرة ١٣٥٨ هـ — جـ١٣ ، جـ١٤ .

ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم الحموى ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٨ م

١٨ — مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب .
جـ ٤ ، جـ ٥ تحقيق د. حسنين محمد ربيع ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٢ م ، ١٩٧٧ م وباقى الكتاب مخطوط فى دار الكتب رقم ح ١٠٠٤١ .

ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩ م ٠

١٩ — تاريخ ابن الوردى أو تتمة المختصر فى أخبار البشر ٠ الطبعة الثانية فى جزءين — النجف بالعراق ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

أبو شامة : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥ هـ

٢٠ — الذيل على الروضتين — « تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجرى » ، مطبعة دار الجبل بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ م ٠

أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م

٢١ — المختصر فى أخبار البشر ، أربع أجزاء فى مجلدين، دار المعرفة بيروت ٠

أبو الفضائل : محمد بن على بن نظيف الحموى ت بعد سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م

٢٢ — التاريخ المنصورى ٠ تحقيق د ٠ أبو العيد دودو ، مراجعة د ٠ عدنان درويش، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

الاصفهانى : محمد بن محمد بن حامد الاصفهانى ٠ ت ٥٩٧هـ/١٢٠١ م

٢٣ — تاريخ دولة آل سلجوق — اختصار الفتح بن على البندارى ٠ منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م

البدليسى : شرف خان ٠ بعد سنة ١٠٠٥ هـ/١٥٩٦ م

٢٤ — شرفنامة ج ٢ تعريب محمد على عونى ٠ ومراجعة يحيى الخشاب ، طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه ٠ القاهرة ١٩٦٢م

بيبرس الدوادار : الأمير ركن الدين بن عبد الله المنصورى ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤ م

٢٥ — زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ج ٩ ، تحقيق د. زبيدة محمد عطا . رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٢ م .

خواندمير : غياث الدين محمد ت ٩٤٢ هـ

٢٦ — دستور الوزراء ، ترجمة وتعليق د. حربى أمين سليمان ضمن كتابه : المؤرخ الايرانى الكبير غياث الدين كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

الديار بكرى : حسين بن محمد ت حوالى ٩٦٦ هـ/١٥٥٩ م

٢٧ — تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٣ هـ .

رشيد الدين : فضل الله الهمدانى ت ٧١٨ هـ/١٣١٨ م

٢٨ — جامع التواريخ المجلد الثانى فى جزئين ج ١ ، ج ٢ ، ترجمة فؤاد عبد المعطى الصياد وآخرين ، مراجعة د. يحيى الخشاب. دار احياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٢٩ — التاريخ الغازانى ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٨٨٩ تاريخ فى أربعة مجلدات .

سبط ابن الجوزى : شمس الدين أبو المظفر يوسف ت ٦٥٤ هـ

٣٠ — مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ج ٨ فى مجلدين ، المطبعة العثمانية حيدر أباد بالدكن ١٣٧٠هـ/١٩٥١ م .

السبكى : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ت ٧٧١ هـ

٣١ — طبقات الشافعية الكبرى ٠
١٠ أجزاء تحقيق محمد محمود الطناحى ، عبد الفتاح الحلو ، الطبعة الأولى ١٩٦٤ م — ١٩٧٦ م ٠

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن ٠ ت ٩١١هـ/١٥٠٥ م

٣٢ — حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ٠ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٠ دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٩٦٨ م ٠

٣٣ — تاريخ الخلفاء ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م ٠

العينى : بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥/١٤٥١ م

٣٤ — عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مجلد ٢٢ مخطوط بدار الكتب رقم ح ٨٢٠٣ ٠

القلقشندى : أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨ م

٣٥ — صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩١٥ م وما بعدها ٠

المقريزى : تقى الدين أبو العباس أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م

٣٦ — السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ تحقيق د٠ محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٥٧ م

٣٧ — المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ٠ جزءان فى مجلدين طبع دار صادر فى بيروت ٠

النسوى : محمد بن أحمد

٣٨ — سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى •

نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى ، دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٥٣ م •

النظامى العروضى السمرقندى :

٣٩ — جهاز مقالة — حواشى محمد بن عبد الوهاب القزوينى • نقله من الفارسية الى العربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢ م

٤٠ — نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ ٢٨ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة •

اليافعى : أبو محمد عبد الله بن أسعد ت ٧٦٨ هـ

٤١ — مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، أربعة أجزاء — الطبعة الأولى حيدر أباد بالدكن ١٣٣٨ هـ وما بعدها — رجعت الى جـ ٤

اليونينى : قطب الدين أبو الفتح موسى بن سليمان • ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦ م

٤٢ — ذيل مرآة الزمان •

جـ ١ ، جـ ٢ ، مطبعة الدكن ١٣٧٤هـ—١٣٧٥هـ/١٩٥٤—١٩٥٥م •

(ب) المراجع العربية الحديثة والمترجمة

بارتولد :

١ — تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، تعريب د. أحمد السعيد سليمان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ م .

٢ — تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ١٩٨٣ م .

براون :

٣ — تاريخ الأدب الايرانى من الفردوسى الى السعدى ، ترجمة د. ابراهيم أمين الشواربى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .

جب « هاملتون » :

٤ — دراسات فى حضارة الاسلام ، ترجمة د. احسان عباس وآخرين ، بيروت ١٩٧٩ م .

حافظ حمدى :

٥ — الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربى ١٩٤٩ م .

٦ — الشرق الاسلامى قبل الغزو المغولى . دار الفكر العربى ١٩٥٠م

د. حسنين ربيع :

٧ — دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م .

حياة ناصر الحجى :

٨ — العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق — حولية كلية الآداب بالكويت — الحولية الثانية ١٩٨١ م/١٤٠٠ هـ .

خصـباك : جعفر حسين :

٩ ـــ العراق فى عهد المغول الايلخانيين ـــ بغداد

الســاداتى : (أحمد محمود)

١٠ ـــ تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية و
الدولة المغولية ، سلسلة الألف كتاب رقم ٥٨

د• سرور « محمد جمال الدين » :

١١ ـــ دولة الظاهر بيبرس ، دار الفكر العربى ١٩٦٠ م •

د• سعيد عاشور :

١٢ ـــ العصر المماليكى فى مصر والشام ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ١٩٦٥ م •

١٣ ـــ الحركة الصليبية • جزءان ـــ الطبعة الأولى ١٩٦٣ م •

١٤ ـــ الظاهر بيبرس • المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ م •

١٥ ـــ قبرس والحروب الصليبية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ م •

١٦ ـــ بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى • بيروت ١٩٧٧ م •

د• الصياد : (فؤاد عبد المعطى)

١٧ ـــ مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين • دار الكاتب العربى . الطبعة الأولى . ١٣٨٦هـ/١٩٦٧ م •

المغول فى التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٠ م •

د· العبادى : (أحمد مختار)

١٨ — قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام : الاسكندرية ١٩٨٢ م ·

عباس عزاوى :

١٩ — تاريخ العراق بين احتلالين :

جـ ١ : حكومة المغول ٦٥٦هـ — ٧٣٨هـ/١٢٥٨م—١٣٣٨ م ؛ طبع بغداد سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٥ م ·

د· عبد السلام عبد العزيز فهمى :

٢٠ — تاريخ الدولة المغولية فى ايران ،دار المعارف ١٩٨١ م ·

د· عبد النعيم حسنين :

٢١ — ايران والعراق فى العصر السلجوقى ، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م ·

د· على ابراهيم حسن :

٢٢ — دراسات فى تاريخ المماليك البحرية — دار النهضة المصرية ١٩٤٤ م ·

د· غلاب : (محمد السيد)

٢٣ — تطور الجنس البشرى — مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١ م ·

د٠ فايد عاشور :

٢٤ — العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى عهد الدولة المملوكية الأولى : دار المعارف ١٩٧٦ م

فامبرى « أرمينيوس » :

٢٥ — تاريخ بخارى ، ترجمة د٠ أحمد محمود الساداتى ومراجعة د٠ يحيى الخشاب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٥ م ٠

د٠ قاسم عبده قاسم :

٢٦ — دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، دار المعارف ١٩٨٣ م ، الطبعة الثانية ٠

لامونت (جون٠ ل٠) :

٢٧ — الحروب الصليبية والجهاد ، فى مجلة دراسات اسلامية باشراف نيقولا زيادة . بيروت ١٩٦٠ م ٠

مصطفى طه بدر :

٢٨ — مغول ايران بين المسيحية والاسلام ، طبعة دار الفكر العربى٠

منى ابراهيم عبد الرحمن :

٢٩ — السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥ م٠

(جـ) المراجع الأجنبية

Alessandro, Bausani,

1 — The Persians from the earliest days to the twentieth century, translated from the Italian By : J. B. Donne, London 1971.

Aziz Suryal Atiya,

2 — The Crusade in the Later middle ages, London 1938.

Barthold,

3 — Four Studies on the history of Central Asia, Leiden 1958.

Blochet,

4 — Moufazzal Ibn Abil fazail, histoire des sultans Mamlouks, Introduction par Blochet, in «Patrlogia Orientalis» Tome, XII, 1913.

Boyle,

5 — The death of the Last Abbasid Caliph, in «Journal of Semitic Studies» vol. VI, 1961.

Bretschneider, E.,

6 — Notices of the medieval Geography, and history of Central and western Asia, drawn from Chinese and Mongol writings and Compared with the observations of western authors in the Middle ages, London 1876.

Browne,

7 — Aliterary history of Persia, vol. 111, The Tartar dominion, 1265—1502, Cambridge university Press, 1951.

Cahen, cl.

8 — Bagdad au temps de Ses derniers caliphs, in «Arabica IX, 1962.

Cambridge,

9 — Cambridge history of Iran, vol. 5, edited by J. A. Boyle, the university Press 1968.

10 — Cambridge Medieval history, vol, IV. Part, I, 1966 edited by Hussey.

Champdor, A.,

11 — Tamerlan, Paris 1942.

D. Ayalon,

12 — The Great yasa of chingiz Khan, in «Studia Islamica» Tome, XXXIV, XXXVI, XXVVIII, 1971—1972, 1973.

13 — The System of payment in Mamluk military Society, in «JESHO», vol. I, Part, 111, 1958.

14 — Studies on the transfer of the Abbasid Caliphate from Bagdad to cairo, in «Arabica vol. VII, 1960».

Des maisons, p.

15 — Histoire des Mongols et des Tatares Par Aboul-Ghazi Behadour khan Amsterdam 1970.

Grigor of Akanc,

16 — History of the nation of the archers «The Mongols», Harvard university Press 1954.

Grousset, R.,

17 — Histoire de L'Asie, Tome 111, Le Monde Mongol, Paris 1922.

18 — L'empire Mongole, Paris 1941.

19 — L'empire des Steppes, Paris 1948.

H. Rabie,

20 — The Financial System of Egypt A. H. 564 — 741/A. D. 1169—1341, London, Oxford university Press 1972.

Hilda Hookham,

21 — Tamburlaine, The Conqueror, London 1962.

Howorth,

22 — History of the Mongols, Part 11, 111, London 1860—1888.

Humphrey, R. S.,

23 — The emergence of the Mamluk army, in «Studia Islamica» vol. XLV, XLVI, 1977.

Igor de Rachewiltz,

24 — Personnel and Personalities in north China in the early Mongol Period, in «JESHO», vol. IX, 1966.

Jean Aubin,

25 — Tamerlane à Bagdad, in «Arabica», vol. IX, 1962.

Jean Richard,

26 — Le debut des relations entre La Papautè et Les Mongols de Perse, extrait du journd Asiatique, Année 1949.

Joachim, Barckhausen,

27 — L'empire Jaune de Genghis khan, paris 1942.

Juvaini, Ata Malik,

28 — The history of the world Conqueror, vol. I, II, translated from the Persian by J. A. Boyle, Manchester university Press 1958.

Michael Prawdin,

29— The Mongol empire, its rise and Legacy, London 1967.

Minorsky, V.,

30 — Studies in Caucasian history, London 1953, Cambridge orienal Series, No. 6.

Paul Pelliot, et L. Hambis,

31 — Histoire des Campagnes des Gengiskhan Tome I, Leiden 1951.

Philips, E. D.

32 — The Mongols, London 1969.

Smith, J. M.,

33 — Mongol manpower and the Persian Populations, in «JESHO», vol. XVIII, 1975.

Spuler, B.,

34 — Les Mongols dans L'histoire Paris 1961.

Stanley Lane Poole,

35 — A history of Egypt in the Middle ages London 1936.

Sykes, Percy,

36 — A history of Persia, vol. 1, 11, London 1964

Tohmas Wright,

37 — Early travels in Polestine.

Van Loon, J. B.,

38 — Tarikhi-Shaikh uwais, Persian text, translated by, J. B. van Loon, Holland 1954.

Vladimirtsov, B.,

39 — Gengis-Khan, traduction, Par Michel Carsow Paris 1948.

Wiet, G.

40 — Histoire de la Nation Egyptienne, Tome IV, L'Egypte Arabe.

William Muir,

41 — The Mameluke or slave Dynasty of Egypt. Amsterdam 1968.

Ziada, M. M.,

42 — Foreign relations of Egypt in the Fifteenth Century, 1422-1517, Part, I, 11, University of Liverpoole.

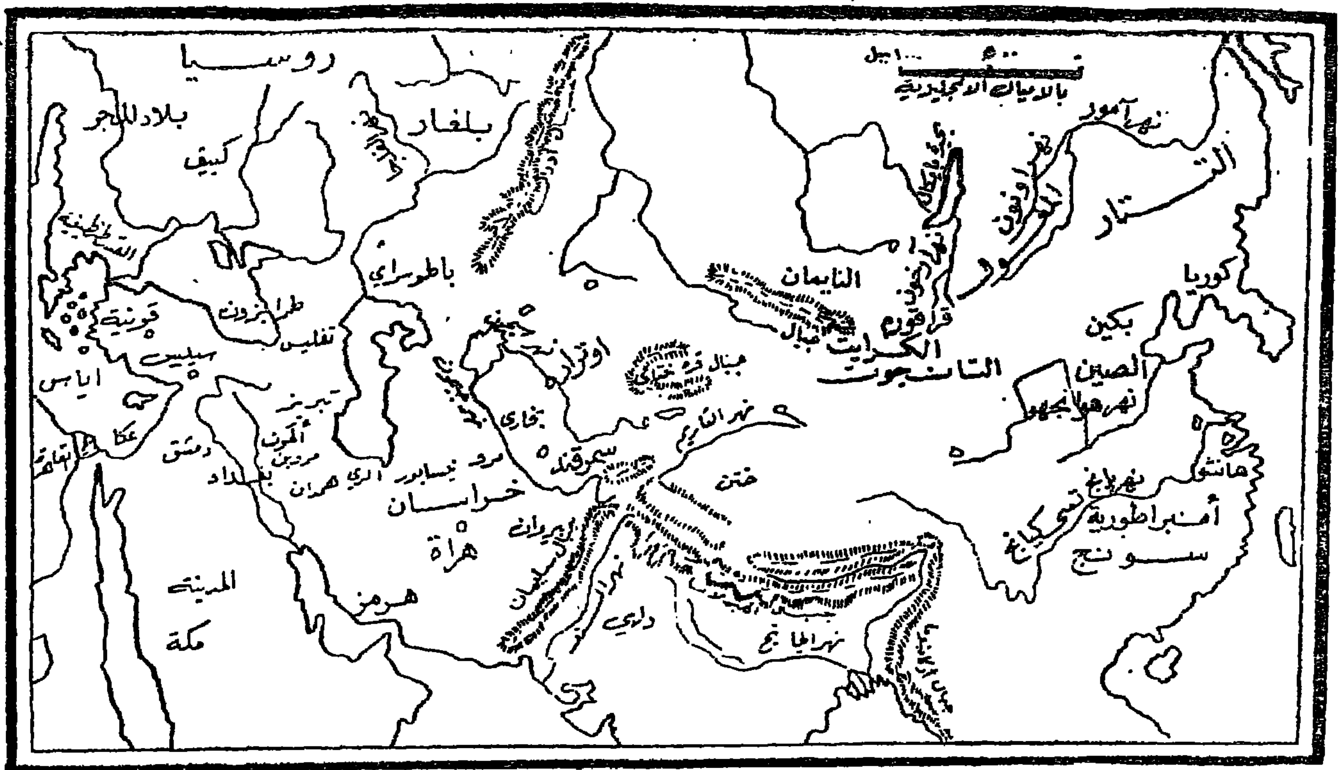
Abbreviations

Camb. Hist. = Cambridge History.

JESHO = Journal of the economic and Social history of the Orient

P. Or. = Patrologia Orientalis.

S. I. = Studia Islamica.



امبراطوريّة المغول

من كتاب د. الصياد . المغول فى التاريخ

الجزء الأول



من كتاب : د . سعيد عاشور . العصر المماليكى
فى مصر والشام ص ٢٤٦



من كتاب : د. سعيد عاشور
الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٣

مطبعة الجبلاوي
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية - شبرا

رقم الايداع ٧٤٣٤/١٩٨٤
٩-١٤٣-٠-٩٧٧٠٤